قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :
«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

تنبيه هام : إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول: إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 - العدد 26 - 18 شعبان 1428 هـ الموافق 01 شتنبر 2007 م - الثمن 5 دراهم

العلمانية بالمغرب والحرب على الدين والدولة

ملف العدد

الانفـــتـــاح هل هو حاجة أم مظهر من مظاهر التبعية للغرب؟

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

"كلمة العدد"

مرض الحساسية من نعت "الإسلامي"

يتساءل كثير ممن يحمل همَّ الإصلاح من منطلق الدين والهوية إذا ما كان من اللازم أن يُقدِّم المسلمون -ومنهم المغاربة- ضريبة من أعراضهم ودينهم وقيمهم مقابل رغبتهم في التقدم والازدهار؟ إذ أصبح يُخيَّل للمرء بفعل الهيمنة العلمانية على المؤسسات أن الانفتاح الاقتصادي مثلا لابد أن يُبنى على نظام ربوي، وأن السياحة لابد أن يصاحبها الشذوذ الجنسي والدعارة السياحية وترويج المخدرات وانتشار كازينوهات الرقص العاري والقمار، وأن الرفع من المستوى الثقافي لدى المواطنين يستلزم الانفتاح على ثقافة غير المسلمين مهما كانت غارقة في الإلحاد والكفر والزندقة، وأن الحرية تقتضي منع كل منعٍ من شأنه أن يحدَّ من إبداع الإنسان فلا دينَ ولا عرفٍ ولا مقدس.

إن مطالب العلمانيين في البلاد الإسلامية واحدة خلاصتها نبذ الهوية والدين وتقليد الغرب في كل شيء، وحتى لا يتهمنا بعض من لا يعرف خطورة العلمانيين بالغلو، نورد كلاما حول طه حسين وهو من أئمة العلمانيين في البلاد الإسلامية، نشرته مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد 97 بقلم الدكتور شوقي ضيف تحت عنوان تذكارية طه حسين، قال ضيف: "وأخذ طه حسين يفكر تفكيرًا عميقًا في حياتنا الثقافية والتعليمية ووضع لها برنامجًا مفصلاً في كتابه: "مستقبل الثقافة" الذي نشره في جزأين سنة 1938م وفيه يذهب إلى أن مصر لا تنتمي إلى الشرق، وإنما تنتمي إلي أوربا و الغرب، إذ حضارتها الفرعونية أمُّ الحضارة الإغريقية، ويقول: إن مصر أصبحت أوربية في الحياة المادية والمؤسسات الثقافية والسياسية، وعلى أبناء مصر أن يتلاحموا ثقافيًّا مع أوربا وأن يزداد اتصالهم بها قوةٍ من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءًا منها لفظًا ومعنى، وحقيقة وشكلاً، وإن علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرِّها وما يُحب منها وما يكره".

أليس هذا هو طه حسين الذي يقدمه العلمانيون في البلاد الإسلامية على أنه عميد للأدب العربي؟

ألم نعمل بنصيحة "طه حسين" فسرنا سيرة الأوربيين وسلكنا طريقهم فلماذا يا ترى لم نصبح لهم أندادا؟

بالأمس القريب وفي المغرب المسلم وسائر بلاد المسلمين كانت على سبيل المثال شواطئ للنساء وأخرى للرجال دون أن ينتج هذا الأمر حساسية، أما اليوم بعدما سرنا سيرة الأوربيين وسلكنا طريقهم أصبح الرجال والنساء يموج بعضه في بعض وأصبح من يتكلم عن فصل النساء عن الرجال في الشواطئ أو من يطالب بتخصيص شواطئ غير مختلطة لمن لا يرغب في الاختلاط يوصف بالرجعية والظلامية، حيث أمسى هذا الموضوع مندرجا ضمن الحروب السياسية التي زجت بالإسلام إلى مستنقع السياسة ومزايداتها وأساليب استقطاب الأنصار ومحاربة الخصوم، بينما يتجاهل المسؤولون أن الواقع يشهد بأن مئات الآلاف من المواطنين المغاربة إن لم نقل الملايين يعزفون عن ارتياد الشواطئ تجنبا للمعاصي وتطبيقا لدينهم.

لقد تمكن التغريب العلماني من الحياة العامة في المغرب حتى أصبح كل تميز إسلامي يأخذ طابع المحافظة على الدين والهوية غالبا ما يقابل بحساسية زائدة، فالبنوك الإسلامية التي فرضتها الاستثمارات الخليجية وأوجبتها حاجة المغرب المالية عُرقلت في البداية وفي الأخير اشترِط أن لا تحمل نعت الإسلامية.

ويذكرنا هذا عندما أقدم بعض المغاربة على تكوين حزب سمي حزب الخلافة فكلف جمال عبد الناصر القومي العلماني نفسه عناء التدخل لدى السلطات المغربية أيامها لمنع تسميته بهذا الاسم.

فلماذا تشرئب أعناق العلمانيين حتى يوشك أن يُقطع منها الوتين كلما سمعوا صوتا للإسلام ولو كان رجع صدى لثوابت ما زالت أفئدة المغاربة تهتز كلما مُس جنابها؟ ولماذا هذا العداء لكل ما هو إسلامي ولو كان مبنيا على أسس الشرع الإسلامي أو مذهب البلاد؟ أهي الحساسية السياسية؟ أم العداء الأبدي بين العلمانية المستوردة والدين الإسلامي الحنيف؟

إننا نشفق على أولئك العلمانيين المساكين، يظنون أن الناس بُلهاء لا عقل لهم يميزون به بين هدي الإسلام وسراب العلمانية التي تسميه حرية وتقدما، ألا يدري أولئك أنهم يوغرون صدور المسلمين على كل العلمانيين عندما يقومون بمحاربة ارتداء المرأة للحجاب مثلا، ويملؤون بالمقابل جرائدهم ومجلاتهم بالصور الخليعة.

ما أشبه قولهم بقول قوم سابقين أخبرنا الله سبحانه خبرهم في كتابه العزيز: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} فهؤلاء بكل استهزاء شرعوا لأنفسهم دينا وأحبوا أن يفعلوا في أموالهم أي اقتصادهم ما يشاؤون متظاهرين بالحوار ودعوة نبيهم إلى الحلم والرشد.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

السبيل

قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل

مقاصد القرآن في ضرب الأمثال

احتوى القرآن على أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه.

فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة، ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه.

فقد مثّل الله الوحي والعلم الذي أنزله على رسوله في عدة آيات بالغيث والمطر النازل من السماء، وقلوب الناس بالأراضي والأودية، وأن عمل الوحي والعلم في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأرض، فمنها: أراضٍ طيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب الكثير، كمثل القلوب الفاهمة التي تفهم عن الله ورسوله وحيه وكلامه، وتعقله، وتعمل به علماً وتعليماً بحسب حالها. كالأراضي بحسب حالها، ومنها أراض تمسك الماء ولا تنبت الكلأ، فينتفع الناس بالماء الذي تمسكه فيشربون ويسقون مواشيهم وأراضيهم. كالقلوب التي تحفظ الوحي من القرآن والسنة وتلقيه إلى الأمة ولكن ليس عندها من الدراية والمعرفة بمعانيه ما عند الأولين وهؤلاء على خير ولكنهم دون أولئك.

ومنها: أراض لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، كمثل القلوب التي لا تنتفع بالوحي لا علما ولا حفظا ولا عملا.

ومناسبة الأراضي للقلوب كما ترى في الظهور، وأما مناسبة تشبيه الوحي بالغيث لأن الغيث فيه حياة الأرض والعباد وأرزاقهم الحسية، والوحي فيه حياة القلوب والأرواح ومادة أرزاقهم المعنوية.

وكذلك مثّل الله كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فكذلك شجرة التوحيد ثابتة بقلب صاحبها معرفة وتصديقا وإيمانا وإرادة لموجبها، وتؤتي أكلها وهو منافعها كل وقت من النيات الطيبة والأخلاق الزكية، والأعمال الصالحة والهدي المستقيم، ونفع صاحبها وانتفاع الناس به، وهي صاعدة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه.

ومثّل الله الشرك والمشرك الذي اتخذ مع الله إلهاً يتعزز به، ويزعم أنه سينال منه النفع، ودفع الضرر كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأوهاها، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا إلى ضعفها. كذلك المشرك ما ازداد باتخاذه ولياً ونصيراً من دون الله إلا ضعفاً، لأن قلبه انقطع عن الله، ومن انقطع قلبه عن الله حلّه الضعف من كل وجه، وتعلقه بالمخلوق زاده وهناً إلى وهنه، فإنه اتكل عليه وظن منه حصول المنافع، فخاب ظنه وانقطع أمله، وأما المؤمن فإنه قوي بقوة إيمانه بالله وتوحيده وتعلقه بالله وحده، الذي بيده الأمر والنفع ودفع الضرر، وهو المتصرف في أحواله كلها، كالعبد الذي استقام على صراط مستقيم في أقواله وأفعاله، منطلق الإرادة تحرر عن رق المخلوقين، غير مقيد لهم بوجه من الوجوه، بخلاف المشرك فإنه كالعبد الأصم الأبكم الذي هو كلٌّ وعالة على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، لأن قلبه متقيد للمخلوقين مُسْتَرق لهم، ليس له انطلاق ولا تصرف في الخير ولا شعور به..

وهؤلاء الذين زعموا أنهم آلهة ينفعون ويضرُّون لو اجتمعوا كلهم على خلق أضعف المخلوقات، وهو الذباب لم يقدروا باجتماعهم على خلقه، فكيف ببعضهم!! فكيف بفرد من مئات الألوف منهم!! وأبلغ من ذلك أن الذباب لو يسلبهم شيئاً لا يقدروا على استخلاصه منه ورده.

فهل فوق هذا الضعف ضعف؟

وهل أعظم من هذا الغرور الذي وقع فيه المشرك شيء؟

وهو مع هذا الغرور وهذا الوهن والضعف منقسم قلبه بين عدة آلهة، كالعبد بين الشركاء المتشاكسين، لا يتمكن من إرضاء أحدهم دون الآخر، فهو معهم في شرّ دائم وشقاء متراكم.

فلو استحضر المشرك بعض هذه الأحوال الوخيمة لربأ بنفسه عما هو عليه، ولعلم أنه قد أضاع عقله ورأيه بعدما أضاع دينه، وأما الموحد فإنه خالص لربه، ولا يعبد إلا خالقه وبارئه ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه، وقد اطمأن قلبه واستراح، وعلم أن الدين هو الحق وأن عاقبته أحمَد العواقب، ومآله الخير والفلاح والسعادة الأبدية، فهو في حياة طيبة، ويطمع في حياة أطيب منها.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

أكبر محطة للطاقة الهوائية بطرفاية



كشف المكتب الوطني للكهرباء أخيرا لائحة الاختيار الأولي للشركات المزمع انتقاء بعضها لإنجاز محطة الطاقة الهوائية بطرفاية.

ومن المرتقب أن يمكِّن هذا المشروع الأكبر من نوعه بالمغرب، من إنتاج ما بين 200 و300 ميغاوات، في حين ستكون قوة كل هوائية بمحطة طرفاية في حدود 850 كيلواط أو أكثر من ذلك.

ويعتزم المكتب الشروع في استغلال هذا المشروع سنة 2010م، تعزيزا لسياسة المغرب ورغبته في الرفع من وتيرة حضور الطاقات المتجددة في إنتاج الكهرباء، علما أن هذه الطاقات ستبلغ في أفق الأربع سنوات المقبلة قرابة 10% من الباقة الطاقية للمغرب، و20% من الإنتاجية الوطنية من الكهرباء.

ويتوفر المغرب على مصادر طاقات بديلة كبيرة تقدر بنحو 6،000 ميغاوات من الطاقة الهوائية، وخمسة كيلواط بالمتر المربع يوميا من الطاقة الشمسية، وأكثر من 200 موقع لاستغلال المياه، بالإضافة إلى أكثر من 93 مليار طن من حجر الشيست الحمري.

وكانت الحكومة الإسبانية وافقت في ماي الماضي، على منح المغرب قرضا قدره 135 مليون دولار لإنجاز محطة لتوليد الطاقة الهوائية في طنجة، وذلك في إطار صندوق مساعدة التنمية الإسباني.

ويهم المشروع بناء محطة بسعة 140 ميغاوات، تتكون من 165 مولد للطاقة الهوائية، بهدف الاستجابة للطلب على الطاقة الذي يرتفع بـ 8% سنويا ويعتزم المغرب تطوير الإنتاج إلى 1000 ميغاوات بحلول 2012م.

أزيد من 7 آلاف مصاب في أكثر من 5 آلاف حادثة سير 96 قتيلا في 40 يوما من حرب الطرق

لقي 96 شخصا مصرعهم، وأصيب 7150 آخرون بجروح، 347 منهم إصاباتهم بليغة في 5538 حادثة سير بدنيَّة، وقعت داخل المناطق الحضرية، خلال الفترة الممتدة، ما بين ثاني يوليوز و12 غشت، وهي فترة تعرف ضغطا كبيرا في الطرقات، بسبب العطلة الصيفية من جهة، ودخول عدد كبير من العربات من الخارج من جهة ثانية.



وهكذا سجل الأسبوع الممتد، من ثاني إلى ثامن يوليوز الماضي، وفاة 10 أشخاص، وإصابة 1122 آخرين بجروح، 54 منهم إصاباتهم بليغة، في 868 حادثة سير بدنية أما الأسبوع الممتد، من تاسع إلى 15 يوليوز الماضي، فشهد مصرع 16 شخصا، وإصابة 1143 آخرين بجروح، 60 منهم إصاباتهم بليغة، في 900 حادثة سير بدنية.

ووصلت حصيلة الأسبوع الممتد من 23 إلى 29 يوليوز الماضي، إلى وفاة 26 شخصا، وإصابة 1223 آخرين بجروح، 81 منهم إصاباتهم بليغة، في 954 حادثة سير بدنية، في حين لقي 11 شخصا مصرعهم، وأصيب 1288 آخرون بجروح، 66 منهم إصاباتهم بليغة، في 996 حادثة سير بدنية، خلال الأسبوع الممتد من 30 يوليوز إلى غاية 5 غشت.

وأخيرا شهد الأسبوع الممتد من 6 إلى 12 غشت الجاري، حسب إحصاءات رسمية، مصرع 9 أشخاص، وإصابة 1180 آخرين بجروح، 44 منهم إصاباتهم بليغة، في 893 حادثة سير بدنية.

وتعزو الإدارة العامة للأمن الوطني الأسباب الرئيسية المؤدية إلى وقوع هذه الحوادث أساسا إلى: "عدم التحكم في القيادة، وعدم انتباه الراجلين، والسرعة المفرطة، وعدم احترام أسبقية اليمين، وعدم انتباه السائقين، والسير في يسار الطريق، وتغيير الاتجاه بدون إشارة، وعدم الوقوف الإجباري عند علامة "قف"، وتغيير الاتجاه غير المسموح به، والسياقة في حالة سكر، والسير في الاتجاه الممنوع، والتجاوز المعيب، وعدم الوقوف الإجباري عند إشارة الضوء الأحمر".

وتبقى أكبر حصيلة لعدد الضحايا، تلك التي تسجل في الحوادث التي تتسبب فيها حافلات نقل المسافرين.

تدريبات عسكرية في صحراء مالي لتطويق القاعدة

نقلت وكالة "فرانس برس" عن مصادر عسكرية في "باماكو" عاصمة مالي، أن قوات أميركية وأوروبية وإفريقية شرعت، في إجراء تدريبات ومناورات عسكرية أطلق عليها اسم "فلينت-فلوك2007" في إطار مكافحة الإرهاب.

وتعتقد الاستخبارات الغربية أن تنظيم القاعدة يسعى إلى تركيز نشاطه في الصحراء الإفريقية الكبرى، ومنطقة الساحل الممتدة من موريتانيا غربا إلى الصومال في الشرق، مستفيدا من طبيعة المنطقة الصحراوية، وبعدها عن المراقبة.

وقالت المصادر العسكرية في "باماكو" إن هذا التدريب، الذي يجري بمبادرة من الولايات المتحدة، سيستمر إلى غاية 8 شتنبر، ويشارك فيه 350 عسكريا أميركيا ومن 13 بلدا إفريقيا وأوروبيا.

وحسب المصدر نفسه، سيجري التدريب خصوصا في "باماكو" في قاعة خصصت لعمليات محاكاة على أجهزة كمبيوتر.

وقالت وزارة الدفاع المالية في بيان إن "الهدف الرئيسي للتدريب هو مساعدة الدول الشريكة في تخطيط أنظمة القيادة والمراقبة والاتصالات، وتنفيذها لدعم العمليات الإنسانية وعمليات حفظ السلام، والإنقاذ في حال وقوع كوارث".

وأضافت الوزارة أن "هذا التأهيل سيسمح للدول المشاركة بتطوير شراكة في كل المنطقة، مع تعزيز قدراتها العسكرية".

ويشارك في هذا التدريب، بالإضافة إلى الولايات المتحدة ومالي، عسكريون من الجزائر وتشاد وموريتانيا والمغرب والنيجر ونيجيريا والسينغال وتونس وبوركينا فاسو، من إفريقيا، وكل من فرنسا وهولندا وبريطانيا، من الجانب الأوروبي.

من جهتها قالت السفارة الأميركية في "باماكو" إن التدريب "فلينت-فلوك 2007" يندرج في إطار برنامج أميركي للشراكة لمكافحة الإرهاب.

وتسعى الولايات المتحدة إلى التعاون الأمني مع البلدان الإفريقية، وتتطلع لإنشاء قيادة عسكرية في المنطقة لتنسيق هذا التعاون.

وقال "ولِيام بوب" نائب مدير مكتب التنسيق لمكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأميركية في معرض شرحه للدور الذي يقوم به الجيش الأميركي في ما يتعلق بتقديم الدعم والمساندة والتدريب، من خلال البرامج التكوينية في محاربة الإرهاب في إطار مبادرة دول منطقة الساحل الإفريقي، إن "هذه البرامج تهدف إلى جمع الجيوش الإفريقية والمنظمات الأمنية المدنية، حول السبل التي من شأنها أن تؤدي إلى القضاء على الجماعات المسلحة في منطقة الساحل الإفريقي أو على الأقل التقليص من نشاطها".

حادث اصطدام سفينتين بجبل طارق استبعاد خطر تلوث الشواطئ المغربية

استبعدت وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة أي احتمال لخطر تلوث الشواطئ المغربية، إثر اصطدام سفينتين بمضيق جبل طارق، مستندة إلى ما اتخذته من تدابير احترازية لمواجهة هذه الوضعية.



ومن جهتها أرسلت الحكومة الإسبانية شاحنتين مخصصتين لمحاربة التلوث الإيكولوجي، بالإضافة إلى أزيد من 3400 متر من الحواجز العائمة لمحاصرة المحروقات في حال تسربها.

وأكد "جوي هوليداي" وزير شؤون الموانئ في الحكومة المحلية بجبل طارق، أن التدابير اللازمة للحفاظ على البيئة ما زالت جارية المفعول في المنطقة، التي توجد بها سفينة "نيوفلام" الحملة بنحو 500 طن من "الفيول"، وأنه جرى إرسال الخبراء في ميدان البيئة في حالة وقوع أي تسرب للمادة.

وأكدت وكالات الأنباء الإسبانية أن عملية ضخ 500 طن من "الفيول" التي كانت تنقلها السفينة البنامية "نيوفلام" ما زالت متواصلة من طرف شركة هولندية، بعدما جرى تعليقها في السابق بسبب الشقوق البليغة التي أحدثتها عملية الضخ بهيكلها، ورداءة الجو، إضافة إلى التيارات القوية، التي أدت إلى انشطار الباخرة إلى نصفين وحدوث بداية للتلوث.

وأوضحت المصادر ذاتها أن الحادث، الذي يعد الثالث من نوعه في ظرف سنة، يعود إلى انعدام التواصل بين ميناء الجزيرة الخضراء وميناء جبل طارق، مشيرة إلى أن السلطات المحلية في جبل طارق والجزيرة الخضراء تؤكدان على ضرورة خلق مشروع تعاون في المنطقة، التي تعرف مرور 3000 سفينة، من أجل تفادي كوارث بيئية.

وأكد بلاغ صادر عن وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، أنه جرى إخبار جميع القطاعات المعنية، وكذلك السلطات المحلية المختصة، قصد اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لمواجهة أي تلوث محتمل يمكن أن يمس الشواطئ المغربية، باعتبار الوزارة المذكورة منسقة المخطط الوطني الاستعجالي المتعلق بالتلوث البحري.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

مرشح للرئاسة الأمريكية يهدد بضرب مكة والمدينة



أعلن المرشح الجمهوري للرئاسة الأمريكية "توم تانكريدو" أنه في حالة فوزه بدخول البيت الأبيض سيركز على أن أفضل ما يمكن أن يساعد في تفادي وقوع هجوم "إرهابي" نووي على الولايات المتحدة هو التهديد الصريح بضرب المقدسات الإسلامية، خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي حديثه أمام مجموعة من مؤيديه في اجتماع بدار بلدية ولاية "إيوا" الأمريكية، قال المرشح الجمهوري "تانكريدو" عضو "الكونجرس" عن ولاية "كولورادو": "أعتقد أن مثل هذا الهجوم الإرهابي ضد الولايات المتحدة يمكن أن يكون وشيكاً؛ ولذا فإن الولايات المتحدة تحتاج إلى أن تتحرك بشكل عاجل لوقفه ومنعه".

ووفقاً لما ذكرته شبكة "إيوا بولتيكس"، فقد أضاف "تانكريدو": "لو أن الأمر كان في يدي فسأهدد بصراحة بأن أي هجوم يستهدفنا في بلادنا سنرد عليه مباشرة بهجوم في مكة أو المدينة".

وأردف: "ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يردع شخص أو جهة ما من تنفيذ هجوم ضد الولايات المتحدة".

وردت منظمات الدفاع عن الحقوق المدنية والجالية المسلمة في أمريكا بالغضب الشديد على هذه التصريحات الفجة، ووصفت كلمات مرشح الرئاسة "تانكريدو" بأنها غير مسئولة، وأنه لم يهدف منها سوى جذب ناخبين جدد لجانبه من الحاقدين على الإسلام، وذلك بحسب ما صرح به إبراهيم هوبير، الناطق باسم مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية.

11% من الجنود الصهاينة يهربون من الجيش كل عام

كشفت إحصائيات داخلية لجيش الاحتلال الصهيوني النقاب عن حقيقة أن ما بين خمسة إلى ستة آلاف جندي صهيوني يهربون من الخدمة العسكرية الإلزامية كل عام لأسباب طبية نفسية.

وقد ذكرت الإحصائيات أن هؤلاء الجنود يشكلون نسبة 11% من إجمالي الجنود المجبرين على الخدمة في جيش الاحتلال.

وبحسب تلك الإحصائيات، فإن نصف هؤلاء الجنود الصهاينة على الأقل مرضى حقيقيون، والنصف الآخر يتذرعون بهذه الحجج للهروب من الخدمة العسكرية ويتحايلون على سلطات الجيش للفرار.



وتقول هذه الإحصائيات، التي نشرتها صحيفة "يديعوت أحرونوت": "..إن هناك زيادة مطردة في هذه النسبة من الهاربين حيث إنها كانت لا تتجاوز 2% في عام 1990 ثم أصبحت 3% في 1993 ووصلت 5.5% في 1995 وفي عام 2007 بلغت 11%.

ومن بين الحالات النفسية التي يتذرع بها الجنود الصهاينة للتسريح من الجيش الإصابة والانطواء على الذات، وعدم القدرة على ترك البيت، أو الفشل في الانسجام مع غرباء في الجيش، وعدم القدرة على القيام بالمهام وغير ذلك..

تقرير1.8 : مليون طفل يتم استغلالهم جنسيًا حول العالم

كشف تقرير جديد نشرته صحيفة "ميترو" البريطانية عن أن المملكة المتحدة يوجد بها حوالي 5 آلاف طفل وطفلة يتم استغلالهم بصورة غير قانونية في أعمال ونشاطات جنسية مشبوهة تتنافى مع أبسط معاني الإنسانية.

وأكدت منظمة "أنقذوا أيدي الأطفال الصغار من العبودية" أن هناك ملايين الأطفال يتعرضون للاعتداءات بانتظام ويتعرضون للاغتصاب في حياتهم كـ"أطفال عبيد".

وذكرت الصحيفة أن تلك الأرقام المريعة صدرت بالتزامن مع الذكرى المئوية الثانية لإلغاء تجارة الرقيق.

وقال "بيل بيل" رئيس منظمة "أنقذوا الأطفال": "عبودية الأطفال ليست شيء من الماضي، حيث لا زال هناك ملايين الأطفال في كل من البلدان الفقيرة والغنية يجبرون على الحياة كعبيد في ظل ظروف شنيعة من الإذلال والانتهاك".

وأضاف: "حاليًا في كافة أنحاء العالم هناك 1,8 مليون طفل يعانون من استغلالهم في تجارة الجنس، وهناك أكثر من مليون طفل يمتهنون أعمالاً شديدة الخطورة على حياتهم مثل العمل في حقول الألغام، وهناك الملايين ممن لم تتجاوز أعمارهم ست سنوات يعملون 15 ساعة يوميًا كأجراء، وهؤلاء الأطفال يتم التعامل معهم كسلع تباع وتشترى".

وكشف تقرير للمنظمة الحقوقية عن أن 1,2 مليون طفل رضيع يتم تهريبهم كل سنة عبر دول في أوروبا الغربية والأمريكتين ودول الكاريبي.

وتحقق العصابات الضالعة في تهريب الأطفال أرباح تصل إلى 32 مليار دولار سنويًا، فيما يتم انتهاك 1,8 مليون طفل في أعمال دعارة وإباحية، و75 % من هؤلاء في المملكة المتحدة من الفتيات.

"الاندبندنت": ازدياد الاعتداءات العنصرية ضد المسلمين في "اسكتلندا"

أفادت أحدث الإحصائيات والدراسات أن معدل الجرائم العنصرية التي ترتكب ضد المسلمين والأشخاص المنحدرين من أصول آسيوية قد ازدادت في "اسكتلندا" بنسبة الثلث منذ مخطط التفجيرات الفاشلة الأخير في "لندن" و"جلاسكو".

وذكرت صحيفة الـ"إندبندنت" أن هذه الاعتداءات العنصرية تتضمن الاعتداء على أحد المساجد بإشعال النيران فيه، بالإضافة إلى الإهانات اللفظية والعبارات الجارحة التي تقال لمن يشتبه بكونه مسلمًا أو من أصل آسيوي.

وكانت رموز المجتمع والقادة السياسيون في "اسكتلندا" قد دعوا إلى الهدوء إثر مخطط التفجيرات الفاشلة في 30 يونيو الماضي، والتي كان أحدها محاولة تفجير سيارة من نوع "جيب شيروكي" مكتظة بعلب الغاز في محطة سفر طرفية في مطار "جلاسكو".

وفي محاولة لتهدئة الغضب الداخلي بعد هذا الحادث أكد قادة المجتمع "الاسكتلندي" أن من يقفون وراء هذا الاعتداء ليس من داخل الجالية المسلمة في "اسكتلندا" من الأساس.

لكن الإحصائيات التي صدرت كشفت عن تعرض الجالية المسلمة والجاليات الآسيوية بوجه عام لارتفاع ملحوظ في معدل الاعتداءات والجرائم العنصرية.

وقالت مصادر أمنية مطلعة إن الفترة الأولى من شهر يوليو وحتى يوم الثاني عشر منه شهدت تسجيل 142 حادثة عنصرية.

وأبدى ممثلو المسلمين "الاسكتلنديين" مخاوفهم من أن هذه المعدلات لا تعبّر عن حجم الاعتداءات التي تعرضت لها الجالية، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك العديد من الجرائم لم يتم الإبلاغ عنها.

الديمقراطيون يتهمون "بوش" مجددًا بتضليل شعبه بشأن العراق

اتهم الديمقراطيون الرئيس "جورج بوش" مجدداً بتضليل شعبه بشأن العراق برسمه "صورة وردية" لما يجري هناك.

جاء ذلك بعد ساعات من تأكيد بوش في كلمة ألقاها أن "النصر في العراق هو الطريق الوحيد لهزيمة تنظيم القاعدة وضمان أمن الولايات المتحدة".

واعتبر الديمقراطيون ربط "بوش" بين الحرب في العراق وأحداث 11 شتنبر 2001 تضليلاً للشعب الأمريكي.

وصرح "السيناتور جوزيف بايدن" رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ للصحافيين بأن منطق بوش بالنسبة للحرب في العراق مليء بالعيوب.

وقال بايدن: إن "سياسة بوش الخاطئة وإساءة إدارته للحرب هي في الحقيقة التي غذت التطرف والمتطرفين في العراق وأفغانستان وغيرها" على حد قوله.

وأضاف: "أعتقد أن الرئيس يحب أن يربك الشعب الأمريكي بالربط بين العراق والقاعدة في العراق و"الإرهابيين" الذين هاجمونا في 11 شتنبر".

أما زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس النواب "هاري ريد" فقد اتهم "بوش" بتبني استراتيجية مفلسة في العراق "مع تزايد قوة أسامة بن لادن والقاعدة".

وأضاف: إن معظم الأمريكيين والأغلبية من الحزبين في "الكونجرس" يعتقدون أن هذه الاستراتيجية لا تخدم المصلحة الوطنية وأن الوقت قد حان الآن لإحداث تغيير كبير في الاستراتيجية.

كما أصدر أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيون بياناً اتهموا فيه البيت الأبيض بتحريف واقع ما يحدث في العراق لرسم "صورة وردية" للحرب في العراق.

أَلسَّبِيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير: إبراهيم الطالب

هيئة التحرير: حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم - محمد أبو الفتح
أحمد السالمي - إبراهيم بيدون
المسؤول المالي: إبراهيم الوزاني

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr

السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

وزارة الثقافة أية رسالة في بلد مسلم؟

إبراهيم بيدون

إن أخطر أنواع الغزو على ديننا وهويتنا الإسلامية الغزو الثقافي الذي تشنه جيوش المد العلماني على أمتنا ذلك أنه يُبدل المفاهيم والقيم ويستلب الإرادة والفكر ويسلخ الفرد عن هويته وتاريخه وكل ما يعتز به في مقابل الانغماس في وحل الحرية المطلقة للفرد والمجتمع من قيود التشريعات الربانية.

الاتحاد الاشتراكي ووزارة الثقافة

منذ تولي محمد الأشعري منصب وزير الثقافة وهو يشهر سيف التحيز الإيديولوجي لمرجعيته الاشتراكية العلمانية في وجه كل عمل أدبي إسلامي، بل تعدت حربه أكثر من ذلك حيث طالت مصادر الشرع الإسلامي من خلال منعه للنشر المصحف برواية حفص عن عاصم ونشر الكتب الإسلامية (بما فيها دواوين السنة) في المعارض الثقافية وخصوصا المعرض الدولي للكتاب.

لقد اعتبر وزير الثقافة أن هدف المعرض (معرض الدار البيضاء فبراير 2007م) هو الانفتاح على كل الثقافات للحفاظ على التنوع الثقافي واللغوي والتعامل مع دور النشر المعروفة من مختلف أنحاء العالم، فمما قاله بهذا الخصوص: "**ولهذا فكل ما نعمله اليوم في المجال الثقافي مرتبط بهذا الاختيار وهو المحافظة على التراث في إطار إعادة الاعتبار للتنوع الثقافي المغربي واعتماد هذا التنوع أساسا لتقديم صورة مغرب مختلف، مغرب غني بتعدده، مغرب قوي بإرثه الحضاري والثقافي**".

إن المنع الذي طال الكتاب الإسلامي من قبل الوزير الاشتراكي محمد الأشعري قابله انفتاح كبير (انفتاح ذو وجه علماني) في اختار ضيوف المعرض، فالضيوف هم عبارة عن ثلة من مشاهير الحداثيين المغاربة والأجانب كأدونيس والعروي وكليطو، بل حتى "أدباء" الجنس والشذوذ كالمغربي عبد الله الطايع (الذي تقدمه الصحافة الفرانكفونية ككاتب متحرر وثائر على التقاليد والمتجرئ على اقتحام الطابوهات)، والفرنسية "كريستين أنغو" (التي اشتهرت بكتابها "زنا المحارم" والذي تذكر فيه مغامراتها الجنسية مع والدها)...

فما بال الوزارة المعنية بثقافة الشعب المغربي المسلم لا تنتقي ضيوفها؟ أم أن الأدب الجنسي سيكون من ضمن الألوان التي ستسيطر على الأدب في المغرب؟

هذا بالإضافة إلى تشجيع الوزارة لكل أنواع الموسيقى قديمها أو جديدها حتى أضحت مدن المغرب حافلة بمهرجانات الرقص والغناء، فما أن ينتهي مهرجان حتى يبدأ مهرجان آخر، بل تعتبر الوزارة والوزير كثرة المهرجانات حالة تنبئ عن وعي المغاربة بموروثهم الثقافي الفني وانفتاحهم على الثقافات الأجنبية.

بالإضافة إلى المهرجانات الموسيقية كمهرجان فاس للموسيقى "الروحيةّ!"، ومهرجان الرباط وموازين، ومهرجان الصويرة ..، نرى الوزارة تشجع أشكالا جديدة من الموسيقى الصاخبة ("الهارد روك" "الهارد ميتال") التي ظهرت بظهور فرقة عبدة الشيطان، حيث سمحت بتنظيم مهرجان "البولفار" الذي ضم الكثير من المخالفات بين جنباته وفعالياته من جنس وشذوذ ومخدرات وخمر وكلام فاحش (خاسر)، كما أن مهرجان أنغام السلام الذي نظم صيف 2006م بأصيلا كان كذلك مناسبة لاجتماع عبدة الشيطان المغاربة بإخوانهم الأجانب. فهل المنع الذي طال الكتاب الإسلامي والانفتاح الذي تعرفه هذه المهرجانات من قبيل الوزارة دليل على الإيديولوجية الإشتراكية العلمانية التي ينطلق منها الوزير ورفاقه في الحكومة لتسيير الشأن المغربي؟ فأي مستنقع ستهوي فيه الهوية المغربية الإسلامية من طرف العلمانيين الحداثيين؟!

أما الثقافة السينمائية المغربية الجديدة فهي من قبيل فيلم "ماروك" لليلى المراكشي، وفيلم "ملائكة الشيطان" لأحمد بولان اللذان تظهر فيهما الثقافة الجديدة التي يراد للمغاربة سلوكها (تلميع صورة اليهودي كخطوة للتطبيع مع الصهيوني المحتل، والاستهزاء بالإيمانيات والمقدسات..).

إن وزارة الثقافة من شأنها أن تشجع الأدب الملتزم المسئول عن قضايا أمته، لكن للأسف فمثل هذا الأدب ليس ذو أهمية عند الوزارة .

ما هي الثقافة التي نريد؟

إن الثقافة الإسلامية هي الحصيلة العلمية والفكرية الناتجة عن دراسة وفهم النصوص الشّرعية المتعلقة بالعقيدة والشّريعة والأخلاق الإسلامية.

وأما الصلة بين الثقافة والأخلاق والسلوك الإنساني فهي صلة وثيقة لا انفصام لها، فالمثقف هو الذي يتصرف تصرفاً مثقفاً مهذباً، لكن لابد فيها من اللجوء إلى التجارب الإنسانية وهذه تحتاج لمقاييس ومعايير، فما المقياس والمعيار؟ ما لم ترتبط هذه المسألة بالوحي فإن الإنسان يخبط خبط عشواء ويضيع، لأن مسألة الأخلاق والسلوك العملي للإنسان لا تستطيع أن تفصلها عن منشئ الكون.

والثقافة الإسلامية لها مصادرها ولها تاريخها ولها رجالها، فليس بالمثقف في نظر الإسلام من لا يعرف قرآناً ولا سنة ولا أقوال السلف مهما ادَّعى، فهناك قدر معرفي لابد من توافره ليطلق على الإنسان أنه مثقف، لأن مصادر الثقافة الإسلامية تتمثل في القرآن والسنة الصحيحة وفي اجتهاد المسلمين فيما بعد لفهم هذين المصدرين، ولهذا نجدهم يقولون بالإتباع لا الابتداع (مستفاد من حوار مع الدكتور الحبر يوسف حول "الثقافة الإسلامية ومصادرها").

فهل يا ترى تعمل وزارة الثقافة المغربية على نشر ثقافة تخدم الإسلام والهوية المغربية؟ أم قد أشغلها الطبل والدف والكلام الخاسر فلم تجد وقتا لذلك؟!!

موقع الوزارة الثقافة ينبئ عن المستوى الثقافي لدى وزيرها

بينما أنا أتصفح محرك البحث "جوجل" تحت عنوان "فتح المغرب" أريد التعرف على المزيد من الحقائق التاريخية حول دخول الإسلام لبلاد المغرب..، فتحت أحد الروابط ضمن مجموع النتائج التي قدمها محرك البحث دون أن أنتبه، فإذا به موقع وزارة الثقافة المغربية، فخلت أن الموقع ما دام لوزارة الثقافة سيتكلم عن هذه المرحلة التاريخية المهمة من تاريخ المغرب وسيسهب في الحديث عنها، لكن خيبتي كانت لا تتصور فالحديث عن هذا الفتح لم يتجاوز السطر الواحد في إشارة إلى أن فترة الفتح تجاوزت النصف قرن "من 646م إلى 710م"، وهذا السطر ضمن نبذة عن تاريخ دولة الأدارسة أول (دولة إسلامية في المغرب الأقصى) هذه النبذة التي لم تتجاوز الستة أسطر إلا بكلمة واحدة، أما دولة المرابطين فلم يتجاوز الحديث عنها أقل من أربعة أسطر، ودولة الموحدين خصص للحديث عن تاريخها أقل من خمسة أسطر، وكذلك الحال بالنسبة للدولة المرينية، وأما الدولة السعدية فكانت أحسن حالا إذ أسهبت اليد المؤرخة في الحديث عن تاريخها فبلغت النبذة أقل من سبعة أسطر..

وأخيرا الدولة العلوية التي لازالت تحكم المغرب والتي في ظل حكمها تنعم الوزارة الوصية على تعريف المغاربة بثقافتهم وتراثهم، فهي كذلك لم تحظ باهتمام حيث اقتصرت الوزارة على اختزال تاريخها في سبعة أسطر فقط.

هذا ما قدمته وزارة الثقافة لتعريف المغاربة بتاريخ دولتهم الإسلامي، فاليد المؤرخة للوزير محمد الأشعري لم تكلف نفسها عناء قراءة التاريخ المغربي المبثوث في الكثير من المراجع والكتب التي تتحدث عن تاريخ مغربي مليء بالأحداث.. ونشره في موقعها، كما أن المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الدولة المغربية كثر منهم مغاربة ومشارقة، وعرب وأعاجم، بل لم يتكلف القائمون على موقع الوزارة حتى عناء نشر روابط مفيدة في الباب!!، في حين نلوم المغاربة لجهلهم بتاريخ بلدهم، القديم والمتوسط والحديث.

إن هذا الأمر يصيبنا بالاستغراب خصوصا وما نرى من مجهودات جبارة تبذلها وزارة الثقافة لقيام وتنشيط المهرجانات الفنية والمعارض التي تولي اهتماما وانفتاحا كبيرا على الثقافة الغربية بكل ما تحمله من حرب على القيم والأخلاق والهوية الإسلامية، فهل وراء السياسة التي تنهجها الوزارة أياد تريد سلخ المغاربة عن تاريخهم الإسلامي المجيد، وتحويل مسارهم الفكري نحو غرب باع قيمه في سوق نخاسة الأخلاق؟!

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

العلمانية بالمغرب والحرب على الدين والدولة

إبراهيم الطالب

الباحث في تاريخ دولة الخلافة العثمانية الإسلامية يستنتج أن سقوطها لم يكن مثل سقوط الدول كما كان عليه الأمر خلال خمسة عشر قرنا، هو عمر دول الإسلام المتعاقبة، فقد عرفت الدول الإسلامية الصراع من أجل السلطة منذ زمن بعيد، فكانت الدولة تسقط أختها وتحل محلها في الحكم، لكن كان القاسم المشترك بينها أنها كانت كلها تدعو إلى الإسلام وتطبقه بالفعل فكان الأمراء يغلب عليهم التشبث بتعاليم الدين فسجلت لنا كتب التاريخ والتراجم سير ملوك اشتهروا بالعلم والفقه والزهد والجهاد وكان الكل يحترم حدود الله ويطبقها ويقرب إليه العلماء ويبجلهم.

إلا أن هذه السُنة قد تخلفت في آخر دول الخلافة فما هو السبب يا ترى؟

إن السبب الرئيس في سقوط الخلافة العثمانية هو الصراع الذي قاده علمانيو الاتحاد والترقي المدعومون من طرف الدول الأجنبية التي فتحت لهم أبواب سفاراتها داخل تركيا وخارجها بهدف تشجيعهم على معارضة السلطان عبد الحميد والتستر على اجتماعاتهم السرية فكانت توفر لهم الدعم الكامل حتى استطاعوا عزل السلطان بعد سلسلة من الفتن والقلاقل التي أحدثوها لإثارة الناس ضده.

وبالفعل استطاعت الدول الأجنبية المعادية للخلافة العثمانية من عزل السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى بأيدي العلمانيين ولم تمر إلا سنوات حتى قام الاتحاديون والكماليون تحت زعامة مصطفى كمال بإلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية وطرد الخليفة من البلاد، وتنكروا لكل القيم الإسلامية، فاستبدلوا القانون المدني السويسري بالقرآن الكريم، وأباحوا زواج المسلمات من غير المسلمين.

العلمانيون بالمغرب والملكية

وجدتني مضطرا إلى هذه المقدمة شبه الطويلة، قبل أن أخوض في الكلام عن العلمانيين بالمغرب وحقيقة مطالبتهم بتحديد اختصاصات الملك، وذلك لكون ما حصل للملكية العثمانية قبل إسقاطها يشبه إلى حد كبير ما يحصل في المغرب منذ عقود فالأحداث التي افتعلها العلمانيون في زمن ما بعد الاستقلال لم تكن من أجل الإصلاح ولا الديمقراطية المزعومة وإنما كانت لتنحية الملكية كمؤسسة للحكم أو لإضعافها من أجل أن يتسنى تطبيق العلمانية بحرية كاملة، فكل العلمانيين الذين وصلوا إلى الحكم في البلدان الإسلامية لم يطبقوا إصلاحا وإنما حكموا الناس بالعلمانية وبالحزب الوحيد.

إن هذا الصراع العلماني الذي دام عدة عقود والذي وصل في بعض الأحيان إلى حد تبني بعض أحزابه للمعارضة المسلحة كان من الأسباب القوية التي أضعفت المغرب بعد الاستقلال وهددت أمنه واستقراره، مما جعل موقفه في مواجهة التواجد الأجنبي ضعيفا للغاية، ومع سقوط الإيديولوجية الاشتراكية اضطر الرفاق الاشتراكيون إلى تبني ما أسموه "الإصلاح من الداخل" مع العمل على إضعاف الملكية والحد من نفوذها لكون العلمانية لا يمكن تطبيقها إلى في نظام غير ملكي أو ملكي صوري.

العلمانية والإصلاح من الداخل

إن هذا الإصلاح من الداخل هو في حقيقته تفتيت وتدمير لما يربط المواطنين بالمؤسسة الملكية، فإذا كانت العلاقة بين المغاربة وملكهم كما هو شأنها عبر التاريخ مبنية على البيعة بمفهومها الديني، وإذا كانت البيعة كواجب ديني لا يمكن عزله عن باقي تعاليم الدين وأحكامه، فإن السماح للعلمانيين بالتغلغل وسط المؤسسات العامة وتمكينهم من القوة السياسية والمالية من شأنه أن يضعف التزام الدين لدى المواطنين إلى درجة تصبح البيعة سهلة الإسقاط إذا ما نضجت الظروف كما وقع للخلافة العثمانية/الملكية، فإضعافها في النفوس يؤدي إلى اضمحلالها في الواقع ومن ثم يسهل إسقاطها.

إن تغييب الدين عن حياة المواطنين يمكن اعتباره من أهم الأسباب المنتجة لما تعيشه البلاد من معضلات على جميع الأصعدة فالفساد الإداري والرشوة والدعارة والجرائم ضد الأصول، وفضائح عصابات الكوكايين والمخدرات وتورط كبار المسؤولين فيها، وبيع أراضي الوقف الإسلامي، وانتشار الشذوذ، وارتفاع عدد البغايا من النساء المغربيات المرحلات من بلاد الشرق.. كل هذه المعضلات لها ارتباط مباشر بضعف التأطير الديني الذي أفرزه الصراع العلماني ضد العلماء والإسلام والذي أخذ طابع الصراع ضد الملكية من أجل السلطة والتناوب عليها.

فماذا ربح المغاربة من نضال الرفاق غير إزهاق الأرواح وانتشار الأفكار المعادية لدين البلاد وتاريخها وهويتها، ونشر فكر الإلحاد والزندقة؟

إن العلمانيين لا يهمهم إسلام ولا هوية فهم لا يعترفون بخصوصية تاريخية أو دينية، بل همهم الوحيد هو امتلاك السلطة واكتناز الأموال، وإلا ماذا فعل العلمانيون في باقي الأقطار الإسلامية؟ ماذا فعل جمال عبد الناصر لمصر؟ وماذا فعل القذافي لليبيا؟ وماذا فعل بورقيبة لتونس وبعده ابن علي؟

بل ماذا فعل العلمانيون لتركيا بعد عزلهم للسلطان عبد الحميد ألم يحكموا البلاد بالحزب الوحيد لمدة أربعة عقود من الزمن تقريبا، وقد كانوا من قبل يطالبونه بفتح مجلس المبعوثان (البرلمان) وتبني الديمقراطية.

العلمانية والدعم الأجنبي

لا يشك أحد في كون الاحتلال هو من نشر الفكر العلماني بالمغرب من خلال مدارسه ومقرراته وبعثاته، ففرنسا هي منشأ العلمانية ومُصدِّرتها، ونظرا لكون الإسلام كان المحفز والدافع لمقاومة المغاربة المسلمين لكل ما يتصل بالاحتلال ومن يواليه، حرص الغزاة على تربية نشء من العلمانيين يكون بمثابة النواة التي ستنقسم على نفسها مرارا متعددة حتى تشكل مجتمعا متكاملا له القدرة على التكلم بالعربية لكنه يفكر بالفرنسية، هذا المجتمع أفرز لنا أمثال صحافيي "نيشان" وغيرهما من الأبواق التي تردد دون كلل نفس النتن في صفاقة منقطعة النظير.

فآخر طلعات العلمانيين كانت لأسبوعية "نيشان" نفسها في عددها 113-114 الذي تم سحبه في الشهر المنصرم والتي نشرت مقالا افتتاحيا ومواضيع تتضمن عبارات "مخالفة للأخلاق تصدم مشاعر المسلمين وتتضمن إخلالا بالاحترام الواجب للملك" كما جاء في كلام الوزير الأول.

إن التضامن الأجنبي الذي لقيه مدير الأسبوعية من طرف شخصيات أجنبية ومنظمات دولية يهمها التمكين للعلمانية بالمغرب استكمالا لما بدأه الاحتلال، كما أن الأموال الطائلة التي تقدمها الإستثمارات الأجنبية للجريدة في شكل مبالغ مالية مقابل الإشهار يؤيد حقيقة الدعم الأجنبي للعلمانيين بالمغرب، فالعدد المسحوب وحده تضمن 13 إشهارا لكبريات المقاولات الأجنبية بالمغرب كـ"ميدي تيل" و"بييسي" وشركة القمار "MAROCAINE DES JEUX ET DES SPORTS LA" و شركة "SONY ERICSSON" وغيرها، هذا ناهيك عما يمكن أن يمر تحت الطاولة، لكن كل هذا الكرم يفسره تفاني الأسبوعية في القيام بدورها في نشر العلمانية بالمغرب بشكل لن تستطيعه كبريات المجلات الفرنسية.

منهج العلمانيين المغاربة في هدم الدين والدولة

بإلقاء نظرة تأملية على مادة العدد المسحوب من "نيشان" يمكن للقارئ أن يخرج بفكرة كاملة عن منهج العلمانيين المغاربة في هدم الإسلام وتفتيت بنية المجتمع وهذا ما سنحاول بيانه في الملاحظات الوصفيَة التالية:

- نشر صور متعددة خليعة لنساء عاريات تماما بدعوى الحديث عن "الجنس في الثقافة الإسلامية"، في ملف اشتمل على الكثير من المغالطات والأكاذيب طعنا في الإسلام وخدمة للموقف العلماني من تصريف الشهوة.
- تشجيع الشذوذ والدعوة إليه من خلال تلميع صورة الشاذ المغربي عبد الله الطايع ونشر آرائه حول الشذوذ منها قوله: "أعتز بمثليتي".
- تشجيع تغيير الجنس من خلال نشر صورة المتحول جنسيا "نور" والذي يعمل راقصة وعارضة أزياء والإشادة بشجاعته المتمثلة في تحدّيه لمجتمعه ونظرة الناس إليه.
- التهكم على الأخيار من الملتزمين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
- الاستهزاء بالسنة النبوية والتشكيك فيها لصرف الناس عنها.
- التنقص من قيمة الزواج وتشجيع العلاقات الجنسية المحرمة.
- تحريك النعرات والقوميات وذلك واضح من خلال مقال بعنوان: "أمازيغ ضد الفتوحات" ويتضمن استهزاء بالصحابة رضوان الله عنهم وكذبا على التابعين، ومغالطات تاريخية تخدم الغرض.
- تهكم صريح بخطاب الملك بشكل يزري بالمؤسسة الملكية من حيث كونها سلطة.
- تشجيع الحركات العلمانية المتطرفة مثل غلاة الأمازيغ "الحزب الديمقراطي الأمازيغي".
- تتفيه عقل المسلم والاستهتار بآلام المسلمين من خلال مقال: "الكرة توحد العراقيين" في الوقت الذي تتجاهل فيه الأسبوعية الاحتلال الأمريكي.
- إشهار القمار.

إن أمر تتبع هذا البوق العلماني الواحد يطول أكثر من حجم المقال، ولم يبق مكان للتعليق الذي يبدو أن وضوح النقط المذكورة يُغني عنه.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

الصيف قد ولَّى.. فماذا بعد؟

أكثر الناس لا يعتبرون، وإذا نزل بهم العقاب الإلهي قالوا كما أخبر تعالى عن القرى: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ"

محمد أبو الفتح

ها هو ذا فصل الصيف قد ولى بما له وما عليه، وصار كالرجل المُدْبر بعد أن فرح الناس بإقباله، فيا فوز من سارع فيه إلى الطاعات وملأه بما يرضي رب الأرضين والسماوات، بل أقول يا فوز من حفظ فيه حدود الله ولم يتعدها وخرج منه كفافا لا له ولا عليه، ويا ويل من سَوَّدَ فيه صحيفته بالفواحش ما ظهر منها وما بطن، وخرج منه مذموما مدحورا، بلعنة من الله وغضب من الرحمن، مثل خروج إبليس من الجنان.

فأي خير في متاع قليل يعقبه غضب الرحمن وسخطه؟! وأي خير في لذة ساعة يعقبها ندم طويل وحسرة؟!

فيا ليت هؤلاء أخذوا بنصيحة ذلك المؤمن التي خلدها القرآن حين قال: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ **إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ" سورة غافر.

فالأمر كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: "مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى" سورة النساء، فمتاع الدنيا قليل مهما كثر وهو إلى زوال حتما، وقد فُضل عليه متاع الآخرة بأمرين ذكرهما الله تعالى في قوله: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى"، فقد وصف الله الآخرة بوصفين كل واحد منهما يكفي اللبيب ليصرف نظره عن الدنيا إلى الآخرة، والعاقل من الناس لا يُؤثر الفاني على الباقي، ولا يفضل القليل على الكثير، وفي المقابل فإن الله ميَّز عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا بأمرين ذكرهما في قوله عز وجل: "وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى" سورة طه، فمن هذا الأحمق الأخرق الذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيستعجل المتاع القليل الزائل في الدنيا، ويدخر لنفسه العذاب الأشد والأبقى في الآخرة؟!

فيبيع بيعتين في بيعة ويرجع بالأوكس منهما في الحالين، ففي سوق المتاع يختار لنفسه أقل المتاعين وهو متاع الدنيا، وفي سوق العناء يختار لنفسه أشد العذابين وهو عذاب الآخرة، فيخسر الصفقتين، ويضيع الدارين.

ولا ننسى أن مدة حياة الإنسان في الدنيا ليست بشيء في مقياس الزمان إذا قورنت بالأزمنة السحيقة التي مضت، ومن باب أولى إذا قورنت بالآخرة الباقية ولذلك قال تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ" يونس، وقال سبحانه: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ" سورة الأحقاف، وقال عن الساعة: "كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا" سورة النازعات.

ويمكن للعاقل أن يعتبر بما مضى من عمره فسيجد مُضيَّهُ كلَمْح البصر بل هو أقرب، فيا حسرتنا على ساعات ذهبت إلى غير رجعة لم نكتسب فيها خيرا، ولم نزدد فيها من الله قربا، فساعات الطاعات ساعات خالدة يُسَرّ بها المؤمن إذا رآها في صحيفة أعماله، وإذا جوزي عليها في جنات الخلد، وساعات اللهو والمعاصي ساعات ضائعة ومدعاة للألم والحسرة، فلنتدارك الأمر قبل أن لا ينفعنا الندم، "أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" رواه الترمذي (ترة: أي حسرة).

ولنعتبر بمن مضى قبلنا، فهؤلاء القرن الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أمضوا ما يقارب أربعة عشر قرنا في قبورهم والساعة لم تقم بعد،

> **ها هو ذا فصل الصيف قد ولى بما له وما عليه، وصار كالرجل المُدْبر بعد أن فرح الناس بإقباله، فيا فوز من سارع فيه إلى الطاعات وملأه بما يرضي رب الأرضين والسماوات، بل أقول يا فوز من حفظ فيه حدود الله ولم يتعدها وخرج منه كفافا لا له ولا عليه**

أي ما يجاوز أربعة عشر مرة ما أمضوا من أعمارهم في الدنيا، فيا بشرى من كان منهم في روضة من رياض الجنة يتنعم، ويا خسارة من كان منهم في حفرة من حفر النار يتقلب.

ما قيمة ما عاشوا في الدنيا إلى ما أمضوا في القبور؟

وهل ساعة عذاب توازى بساعة نعيم؟

أم إن العذاب يضاعف الزمن في شعور الإنسان، والنعيم يختصره؟

الواقع يؤكد هذا الأخير كما قال الشاعر:

تُطْوَى وَتُنْشَرُ دُونَهَا الأَعْمَارُ
إِنَّ اللَّيَالِيَ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلُ
وَطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ

ويا ليت شعري كيف ينظر أهل القبور إلى دنيانا هذه التي نتنافس عليها؟ كأني بأحدهم يصيح بأعلى صوته من بين القبور ناصحا أهل الدنيا: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ" سورة فاطر، يا أهل الدنيا قد عرفنا ما لم تعرفوا ورأينا ما لم تروا، وليس رَاءٍ كمن سمع، فأعِدُّوا لمثل ما نحن فيه قبل أن تصيروا إلى ما صرنا إليه، فإنا والله قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، وستجدون ما وعدكم ربكم حقا، فَالبِدَارَ البِدَارَ قبل أن يحال بينكم وبين العمل.

ويا ليتنا نعتبر بما جرى في صيفنا هذا من حرائق وفياضانات، وإعصارات، وزلازل... فإن ذلك والله بسبب ذنوب العباد، كما قال تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" سورة الروم، وقال عز وجل: "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ" سورة الشورى.

ولكن أكثر الناس لا يعتبرون، وإذا نزل بهم العقاب الإلهي قالوا كما أخبر تعالى عن القرى: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ **وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء** فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ" سورة الأعراف، أي: أن هذا الذي أصابنا ليس بسبب تكذيبنا للرسل وإنما هو من دوائر الدهر وتقلباته، يومٌ لنا ويومٌ علينا، فالأمر طبيعي ولم يخرج عن المعتاد، وبلغة أهل العصر هذه كوارث طبيعية فالصواعق ما هي إلا شحن كهربائية، والزلازل ناتجة عن انزلاق القشرة الأرضية، والفيضانات والجفاف ناتجان عن الاحتباس الحراري، وهكذا تفسر الظواهر تفسيرا سطحيا على خلاف بينهم في تفسير بعضها، دون بحث عن أسباب هذه الأسباب، فَيُصْرف الناس عن الاعتبار، وتمرُّ بهم الآيات العظام من غير أن تحرك فيهم ساكنا.

فإذا جاء الجفاف قالوا: أثبت التاريخ أن مناخ بلدنا متقلب، تمرُّ به فترات جفاف وفترات رخاء.

وإذا جاءت الزلازل قالوا هذه بؤر زلازل ثبت عبر التاريخ أنها تتحرك من حين لآخر.

وهكذا كلما جاءهم عقاب قالوا كما قال أسلافهم من قبل: "**قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء**".

فيغترون بما عندهم من العلم ويرون أنهم على شيء، وأن ما جاءت به الرسل تخلف وجهل، كما قال تعالى عن المكذبين الأولين: "فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ **فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ** وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون" سورة غافر، وأي شيء ينفعهم علمهم حين ينزل بهم عذاب الله، فيساقون إلى الجحيم بعد الموت، ويبقى لمن بعدهم تفسير الظاهرة التي نزلت بهم.

وهكذا يُصرف كل قوم عن الآيات فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بادئ ذي بدء

بعد الأحداث التخريبية التي عرفتها الدار البيضاء تبيّن للكل أن التغرير بأبنائنا صار من السهولة بمكان، مما أوجب على المخلصين لدينهم وأمتهم ووطنهم أن لا يألوا جهدا في النصح والبيان، لذا وقياما بهذا الواجب ارتأينا أن نطرح موضوعا بات من اللازم طرقه لما لتلك الأحداث التخريبية من صلة به، ألا وهو موضوع التكفير.

فأحكام الكفر والتكفير هي من جملة الأحكام الشرعية العظيمة التي انحرف فيها كثر من الناس عن جادة الوسطية والاعتدال، وتشعبت آراؤهم فيها.

"فمنهم من أفرط، ومنهم من فرَّط، ومنهم من اعتدل" حاشية ابن عابدين 229/4؛ والفتاوي 466/12.

فكان لزاما -من باب تصحيح المفاهيم حول هذا الموضوع الجليل- أن نخصه بالبحث والمدارسة والتقرير، حتى لا يقاد الناس بالعواطف العمياء، ولا يخدعوا بالشعارات الجوفاء، التي طالما استولت على كثير ممن ضعف علمه وألغى عقله واستسلم لعواطفه فضاع وضيع أمته.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى طرح موضوع التكفير وأحكامه كونه أصبح من "المسكوت عنه" من طرف الكثير من علماء بلدنا مما دفع العلمانيين إلى إنكار التكفير إطلاقا بدعوى أنه يمثل السبب المباشر في الأعمال التخريبية وعمليات القتل..

إلا أننا نرى أن التعتيم على هذا الموضوع ونفيه والمنع من مدارسته وتبيين أحكامه لا يخدم قضيتنا في محاربة أعمال العنف والتطرف لعلمنا أن المغرر بهم لن يسمعوا لترهات العلمانيين التي لا تزيدهم إلا نفورا وعنادا.

كما نبغي ببيان ذلك نصح الأمة، ووضع الأمور في نصابها، ليظهر لكل ذي عينين دقة ذلك وصعوبته، وأن الواجب على عموم الناس: إمساك ألسنتهم عن تكفير أعيان الناس، فذلك مزلق خطير يحتاج إلى دقة وتحرير، ولذا أنيط شرعا بخواص أهل العلم والدين، كما سنبين إن شاء الله رب العالمين.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين

التكفير كالإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب هو إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد في هذا حكم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الكفر والفسق **أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل**، فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا.." منهاج السنة 955.

ولذلك كان من أهم ما يجب أن يضبط في هذا الباب الكشف عن حقيقة الكفر شرعا وبيان أقسامه وإيضاح المخرج منه من الملة من غيره مع تحديد أسبابه وأنواعه حتى يكون حكمنا على الشيء بأنه كفر أكبر.. موافقا لما جاء في الشرع الحكيم، وقد مضى معنا بيان ذلك بحمد الله تعالى.

التكفير المطلق والتكفير المعين

إلا أن إسقاط الكفر على الأعيان **مع وقوعهم فيما هو كفر شرعا ليس بلازم دائما**، لما يعرض لهذا المعين من موانع[1] تجعله لا يؤاخذ بذلك وإن تلبس به، وهذا ما يسمى عند الأصوليين بـ "عوارض الأهلية" أنظر التقرير والتحرير 230/2، وتيسير التحرير 2582، وشرح التلويح على التوضيح 348/2.

مع العلم أن هذا لا يعني ترك **إطلاق** الكفر على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي دلَّت النصوص الشرعية أو الإجماع على أنه كذلك.

ومن ثم فرق أهل السنة بين التكفير المطلق (كفر النوع أو الفعل)، وتكفير المعين (كفر العين أو الفاعل).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، **وتكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع**.. والدليل على هذا الأصل: **الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار**" الفتاوي 487/12-489.

وقال العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله في خصوص ذلك حاكيا عن شيخ الإسلام: "المقصود أن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بالفرق بين النوع والعين" محاسن التأويل 133/5. وانظر درء الفتنة للشيخ بكر أبو زيد ص: 58.

وهذه القاعدة الأصيلة مبنية على أصل شرعي قائم بذاته وهو أن **التكفير العام كالوعيد العام** يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار فهذا يقف على الدليل المعين. أنظر الفتاوي 498/12.

ومما يعتمد عليه في صحة هذا التفريق ما جاء في البخاري عن عمر رضي الله عنه أن رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يُضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر بجلده فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله".

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فنهى عن لعنه مع إصراره على الشرب، لكونه يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع أنه لعن في الخمر عشرة.. **ولعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لُحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق..**" الفتاوي 329/10.

ومن ذلك -كذلك- ما ورد في حديث صاحب الوصية الجائرة.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "..فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي قال: "إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليمّ فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين.. فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له، فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شكّ وأنه لا يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته" الاستقامة 163/1-166.

وكتطبيق عملي لهذا التفريق، فقد ورد عن السلف والأئمة تكفيرهم لبعض فرق أهل البدع فإن صنيعهم ذاك من باب تكفير المطلق ولا يلزم منه تكفير كل أفراد تلك الفرق.

مثال ذلك تكفيرهم للجهمية والقدرية كما ورد عن سلام بن أبي مطيع فيما رواه الدارمي في الرد على الجهمية 111 وغيره، وعن الإمام أحمد كما في السنة للخلال 529 وغيرهما.

قال محمد صديق حسن خان رحمه الله: "تسجيل أهل السنة على بعض الفرق بأن عقيدتها كفر، والقول الفلاني كفر، ويصير المرء بالقول الفلاني كافرا -مثلا-، **فهذه رواية منهم لما ورد عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فيهم.. ولا ينصون على شخص واحد ورجل خاص أنه كافر أو في النار**" الدين الخالص 418/3-419، وانظر الفتاوي 2303.

إطلاق القول بتكفير المعين

ومن الأفهام الخاطئة ما فهمه البعض من تكفير الأعيان **بإطلاق** دون تفريق بين الفعل والفاعل ودون التحقق من توفر الشروط وزوال الموانع، من خلال ما نقل عن بعض الأئمة من تكفيرهم لبعض المعينين من ذلك ما نقل عن الإمام أحمد والشافعي عليهما رحمة الله.

أما في خصوص أحمد رحمه الله فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "..وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر.. قوما معينين، فإما أن يذكر عنه في المسألة روايتان **ففيه نظر**؟ أو **يحمل الأمر على التفصيل فيقال: من كفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه**[2]**، ومن لم يكفر بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم**" الفتاوي 477/12-479.

أما في خصوص ما نقل عن الشافعي رحمه الله مع حفص الفرد لما ناظره فقال حفص: القرآن مخلوق، فقال له الشافعي: "كفرت بالله العظيم" أنظر السنن الكبرى للبيهقي 206/10 وغيره.

فهذا الصنيع من الإمام الشافعي قد حمله الأئمة على غير ما هو ظاهر، وهذا باعتبار عدم تحقق الشروط وانتفاء الموانع في حق حفص الفرد:

1- أن الشافعي أراد أن قوله كفر.

قال شيخ الإسلام: "**بين لنا أن هذا القول كفر**، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها.." الفتاوي 489/12.

2- أنه قال ذلك من باب التغليظ.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "..فإذا رأيت إماما قد **غلظ** على قائل مقالته أو كفره فلا يعتبر هذا حكما عاما في كل من قالها.." الفتاوي 616.

3- أنه يعني: كفرا دون كفر.

قال البغوي رحمه الله تعالى: "وأجاز الشافعي شهادة أهل البدع والصلاة خلفهم مع الكراهية على الإطلاق، فهذا القول منه -يعني كفر حفص الفرد- دليل على أنه إن أطلق على بعضهم اسم الكفر في موضع أراد به **كفرا دون كفر**" شرح السنة 288/1، وانظر معرفة السنن والآثار للبيهقي 191/1.

1- التي أضدادها -نفسها- هي الشروط فتنبه.

2- قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسؤول حاله، أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يثبت حكمها في نظيرها" الفتاوي 213/28.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

إسرائيل تبني "ملجأ يوم الحساب" تحسبًا لوقوع هجوم نووي فهل حكومة الكيان الصهيوني علمانية أم تيوقراطية؟

أليس هذا الاعتقاد يفسر بكل وضوح تسخير أمريكا للأمم المتحدة بكل المنظمات التابعة لها خصوصا الوكالة الدولية للطاقة النووية للحيلولة دون امتلاك الدول الإسلامية للأسلحة النووية؟ ويفسر كذلك تدمير الكيان الصهيوني في بداية الثمانينيات للمفاعل النووي العراقي، كما يفسر حقيقة الحرب على العراق.

عبد الله الشرقي

تناولت وكالات الاخبار في العالم ان الكيان الصهيوني بدأ في الاستعدادات لإقامة ما أسماه "ملجأ يوم الحساب"، والذي يفترض أن يحمي قادة الدولة من أية هجمات يمكن أن تتعرض لها، بما فيها الأسلحة النووية.

ونقلت صحيفة "يديعوت أحرونوت" عن أعضاء في الكنيست، ورئيس الوزراء "إيهود أولمرت"، الذي سبق أن زار موقع البناء في جبال القدس، قولهم: "إن ما يحدث يبدو كنهاية العالم"، وقالوا: "إن مثل هذه الأمور لا ترى إلا في الأفلام والتلفزيون".

وأعرب المسئولون الصهاينة، بعد تجولهم في المكان، عن إحساسهم بالرهبة، حيث إن هذا المكان هو الذي ستدار من داخله "دولة مشتعلة"، على حد وصفهم.

أوصاف "ملجأ يوم الحساب"

ذكرت الصحيفة نفسها أن الملجأ، الذي يشبه "خندقاً هائلاً"، سيضم كل من قيادة الجيش، ومكاتب قادة الدولة ومنتخبيها، ومكاناً لكبار القيادات العسكرية، كما يفترض أنه "سيفرّ إليه" رئيس الوزراء ومنتخبي الشعب مع قدوم "يوم الحساب"، في إشارة إلى استخدام الأسلحة النووية، كي يديروا الدولة بعد وقوع القنبلة الذرية.

وأوضحت الصحيفة أنه سيتم الدخول إلى هذا الملجأ عبر نفق حفر في الجبل ويستمر التنقل فيه عشر دقائق. ويسمح عرض النفق البالغ 10 أمتار بعبور شاحنتين في أعماق الأرض، وفي جوانب النفق تظهر فتحات لغرف الآليات وأجهزة التكييف الهوائي والكهرباء.

وبعد عبور مسافة كيلومترين في العمق، تصل إلى قاعات عديدة يبلغ ارتفاعها عشرات الأمتار، وفي هذا المكان، ستُبنى غرف لمئات الأشخاص، كما ستُبنى غرفة قيادة عسكرية-سياسية، وهناك مصاعد كهربائية للهرب من موقع إلى آخر، فيما يتصل الملجأ، عبر نفق تحت الأرض، بديوان رئيس الوزراء الجديد الذي سيُبنى في مقر الحكومة.

وتعود فكرة بناء الملجأ إلى الحكومة التي كان يترأسها إيهود باراك، والذي يرأس المشروع حاليًا، بصفته وزيرًا للدفاع، على أن ينتهي بناؤه عام 2011م.

ما يستفاد من خبر "ملجأ يوم الحساب"

إن أهم ما يستفاد من هذا الخبر يكمن في تأكيد حقيقة كون الكيان الصهيوني في صراعه مع المسلمين ينطلق دوما من منطلقات دينية ومسلمات عقدية بينما يحرص وكلاؤه في العالم على تشجيع العلمانيين في كل البلاد الإسلامية، نظرا لقبول الفكر العلماني بالتخلي عن القدس مقابل تحقيق سلام مع الكيان الصهيوني إعمالا لمنطق الأمر الواقع مادام لا قدرة للفلسطينيين على مواجهة القوة المدمرة للصهاينة، وكذلك لكون العلمانية لا تعترف بقدسية شيء على وجه الأرض.

وهذا ما يفسر حرص الكيان الصهيوني على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية العلمانية الممثل الوحيد للفلسطينيين، حتى يقاتلوا بالوكالة عنها المقاومة الإسلامية، وهذا واضح من مواقف دحلان وعباس خلال الأشهر الأخيرة.

كما يستفاد من خبر بناء "ملجأ يوم الحساب"، أن قادة الكيان الصهيوني يؤمنون بالمعركة الفاصلة بين الكفر والإيمان والمسماة في أدبيات العقيدة الصهيونية التلمودية وكذا العقيدة المسيحية-الصهيونية "هرمجيدون" وهي كلمة عبرية تعني: تل مجيدون - ويوجد بجنوب لبنان (شمال فلسطين) تلة كبيرة اسمها.. تل المجيدية!!

"بوش" أيضا من المؤمنين بالمعركة الفاصلة

في تحقيق موسع نشرته مجلة "لونوفيل اوبسرفاتور" الفرنسية عن ملة دينية مسيحية تتكاثر بسرعة مذهلة في العالم، ومن أتباعها الرئيس الأميركي بوش، ورد خبر طريف، يقول الخبر: إن الرئيس "بوش" اتصل بالرئيس الفرنسي السابق "شيراك" قبل أيام قليلة من غزو العراق ليحثه على تغيير موقفه.

أدلى بوش في هذا الاتصال بحجج كثيرة حول عدالة الغزو أو الحرب، لينتهي إلى القول إن هذه الحرب إنما هي تنفيذ لإرادة الله، وليست شيئاً أقل من ذلك، أو غير ذلك. وتابع بوش -وسط ذهول الرئيس الفرنسي لما يسمع وعجزه عن فهمه وتفسيره- يقول أي "بوش": "اسمع يا صديقي الرئيس: لقد أخذتُ على عاتقي تخليص العالم من الدول المارقة والشريرة وسأعمل على خوض معركة "هرمجيدون" بكل ما أوتيت من قوة، من أجل القضاء على «غوغ» و«ماغوغ»"...

ولم يفهم "شيراك"، كما تقول "لنوفيل أوبسرفاتور"، ما الذي قصده "بوش" بمعركة "هرمجيدون" وبما سماه «غوغ» و«ماغوغ»!! فما إن أقفل الهاتف حتى استدعى مستشاريه في القصر وروى لهم ما قاله له "بوش" حول أن العناية الإلهية تدعوه لغزو العراق. ولكن ما طلبه "شيراك" من هؤلاء المستشارين، وعلى وجه التحديد، هو إفادته بسرعة عما عناه الرئيس الأميركي بالعبارات الثلاث التي أشكل فهمها عليه وهي "هرمجيدون" و«غوغ» و«ماغوغ».. ويبدو أن المسألة استلزمت وقتاً للحل، ذلك أن الطائفة الكاثوليكية التي يدين بها أكثر الفرنسيين لا تركز على مثل هذه العبارات الواردة في التوراة. لذلك اتصل مستشارو "شيراك" بزعماء الفرع الفرنسي للفرقة الإنجيلية التي ينتمي إليها "بوش" ليسألوهم عن فحوى هذه العبارات..

عندما توضح كل شيء: فـ"بوش" يعتقد أن المعركة الكونية الحاسمة بين قوى الخير وقوى الشر ستجري قريباً في العالم في مكان يسمى في التوراة "هرمجيدون"، ويعتقد أن «غوغ» و«ماغوغ» هما "يأجوج" و"مأجوج" الواردان في سفر "حزقيال"، الشريران اللذان يأتيان من بابل إلى إسرائيل في محاولة لسحقها.

ولما كان "بوش" مع إسرائيل بالطبع على أساس أن وجودها ضروري للمجيء الثاني للمسيح، فإنه يسارع إلى المنطقة للقضاء على "يأجوج" و"مأجوج" مستبقاً ضربتهما المتوقعة لشعب الله المختار!

عند ذلك أدرك "شيراك" مدى خضوع "بوش" لتعاليم الفرقة الإنجيلية التي ينتمي إليها، واقتناعه بأن سياسته إنما هي تنفيذ أمين لإرادة "القدير" العليا..

العلمانيون وحداثة أمريكا وإسرائيل

بكل صفاقة وجه وقلة حياء يصرخ فينا العلمانيون بين الفينة والأخرى داعين المسلمين إلى اقتباس الحداثة الغربية منوهين بـ"ديموقراطية" وحداثة الكيان الصهيوني، فما قولهم في الإيمان الراسخ لقادة أمريكا وإسرائيل بما جاء في "تلمودهم" المليء بكراهية الآخر بل الدعوة إلى إبادته؟ وكيف يردون على التزام أولئك القادة بما ورد في كتبهم المقدسة لديهم، خصوصا ما تعلق بالحرب النووية "هرمجيدون"؟

أليس هذا الاعتقاد يفسر بكل وضوح تسخير أمريكا للأمم المتحدة بكل المنظمات التابعة لها خصوصا الوكالة الدولية للطاقة النووية للحيلولة دون امتلاك الدول الإسلامية للأسلحة النووية؟ ويفسر كذلك تدمير الكيان الصهيوني في بداية الثمانينيات للمفاعل النووي العراقي، كما يفسر حقيقة الحرب على العراق.

بعد هذا كله يقوم فينا العلمانيون خطباء يحثوننا على الانفتاح على الآخر وقبوله وحبه مهما قتل الغربي الديمقراطي! رجالنا وسبى نساءنا وييتم أبناءنا، وذلك حتى يُميتوا في المسلمين روح المقاومة والممانعة، ويغرسوا حب الغرب في الأجيال الصاعدة من خلال الترويج للفلسفات الغربية المؤسسة لديمقراطية لا وجود لها إلا في مخيلات بني علمان، ديمقراطية صنعها الغرب لنفسه وأبنائه، فإن كانت فرنسا مبدعة الديمقراطية وبلاد الثورة التي رفعت شعار "الحرية-المساواة-الإخاء" فلماذا استعمرت بل استخربت الجزائر لقرن وثلاثين سنة وخربت المغرب لأكثر من خمسة عقود، فأين الحرية والمساواة والإخاء في إبادة المسلمين في الحملة النابوليونية على مصر مباشرة بعد عقد من الزمن على الثورة الفرنسية، ألم يكن عدد القتلى والخراب في الحربين العالميتين ناهيك عن الحروب الأخرى التي أشعلتها الدول العلمانية الديمقراطية في العالم أكبر أضعافا مضاعفة من عدد القتلى والخراب الذي خلفته الحروب الدينية عبر العصور؟ فلماذا لا يخسأ العلمانيون في بلادنا وكل البلدان الإسلامية؟

إن ديمقراطية الغرب لا تقوم على أساس العدل والمساواة وإنما تقوم على استغلال شعوب العالم خصوصا الإسلامي حتى تقيم السلام والديمقراطية داخل حدودها ولأبنائها فقط، فمتى يعي العلمانيون أن الديمقراطية بمفهومها الغربي لا تصلح إلا للغرب فقط؟ ولن يصلحنا نحن إلا الإسلام والإسلام فقط.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

فضل العلم ومنزلة أهله

أعظم ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة العلم النافع.

قال تعالى: "**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**" المجادلة، وهذا فضل عظيم وشرف كبير. فإن الرفعة تشتمل الرفعة المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، وانتشار علم العالم واستفادة الناس منه.

والرفعة في الآخرة وهي رفعة حسية بعلو المنزلة في الجنة وهو دليل على كثرة الثواب (انظر فتح الباري 141/1)

وقال تعالى: "**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"، ففي الآية دليل على شرف العلم وفضله، وعلى شرف أهله وفضلهم على من سواهم، إذ لو كان أحد يعدلهم من غيرهم لقرن الله شهادته بشهادته كما قرن الله شهادة أهل العلم بشهادته سبحانه وتعالى. وفي هذا حض للمسلمين على تعلم العلم النافع، الموصل إلى الله، والهادي إليه.

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**" طه.

وهذه الآية برهان واضح على فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف.انظر فتح الباري 141/1.

وأما السنة فهي حافلة بالنصوص الدالة على فضل العلم، والحث على طلبه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" حديث صحيح.

كما بين صلى الله عليه وسلم مكانة طالب العلم فقال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" صحيح الترغيب للألباني 105/1، فهذا حديث عظيم، جليل القدر بين فضل العلم وشرف حامله من وجوه عديدة منها:

الأول: أن الله تعالى أثاب طالب العلم على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصل إلى الله تعالى وإلى رضوانه، أثابه الله عليه أن يسر له طريق الجنة مقصده وغايته.

الثاني: تعظيم الملائكة لطالب العلم وحبها إياه وحياطته وحفظه، ولو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً.

الثالث: أن طالب العلم شبيه بالملائكة، فإن الملائكة من أنصح خلق الله لعباد الله، كما قاله بعض التابعين ولا ريب أن طالب العلم قد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله.

الرابع: أن جميع المخلوقات تستغفر له حتى الحيتان في الماء، لأنه لما سعى فيما به نجاة النفوس، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من الهلاك باستغفارهم له.

الخامس: أن العالم شبيه بالقمر الذي يضيء الآفاق يمتد نوره في أقطار العالم، أما العابد فشبيه بالكوكب الذي نوره لا يجاوز نفسه، وإن جاوزها فهو غير بعيد.

السادس: أن العلماء ورثة الأنبياء خير خلق الله، فهم أحق بميراثهم، وإذا كان الميراث ينتقل للأقرب فهذا تنبيه بأن العلماء أقرب الناس إلى الأنبياء، وهذه منقبة عظيمة.

السابع: أن العلم أعظم الحظوظ وأجداها، لأن نفعه يدوم في الدارين. انظر مفتاح دار السعادة 631.

والأدلة على فضل العلم وعظيم نفعه وشرف صاحبه كثيرة، ويكفي في فضله وشرفه أن الله تعالى قرن شهادتهم بشهادته على أجل مشهود وهو توحيده سبحانه وتعالى وأنهم ورثة الأنبياء الأدلاء على رب الأرض والسماء.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته، قيل: وكيف يا إمام، قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره".

اقتضاء العلم العمل

العلم يطلب ليُعمل به، كالمال يطلب لإنفاقه في طرق الخير، وإذا لم يتحول العلم إلى واقع ملموس يراه الناس فهو وبال على صاحبه، والجاهل خير منه.

يقول ابن جماعة رحمه الله: (واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذي قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم. لا من طلبه لسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب..) تذكرة السامع والمتكلم.

قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**" الصف.

اتفقت كلمة المفسرين على أن سبب النزول أن رجالاً رغبوا في الإذن لهم في الجهاد وأحبوا معرفة أفضل الأعمال عند الله تعالى. فقد أخرج الإمام الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد، يقولون لوددْنَا أن الله عز وجل دلّنا على أحب الأعمال إليه فنعملَ بها، فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن أحب الأعمال: إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به".

فلما نزل الجهاد، كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فأنزل الله سبحانه وتعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**".

ومع أن الجمهور يرَون أنها نزلت في موضوع الجهاد وتمنيه، ولكن المعنى أشمل وأعمّ، فإن النصوص القرآنية أبعد مدى من الحوادث المفردة التي نزلت الآيات لمواجهتها، وأشمل الحالات غير الحالة التي نزلت بسببها، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - كما قرره الأصوليون- **فيستدل بالآية من عموم لفظها على الإنكار على كل من خالف قوله فعله، سواء في الوعد أو العهد أو الأمر أو النهي**.

ومن هنا فالآية درس للأمة الإسلامية، وتوجيهات ربانية، مبدوءة بلفظ محبب إلى النفوس، بأن يكون كل فرد منا عند قوله، فلا يقول إلا حيثما يتبع القول بالعمل، وإلا فقد عرض نفسه لمقت الله تعالى الذي هو أشد البغض.

قال الراغب: **المقت: البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح**.تفسير الطبري 83/28- 84.

وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه مؤكدة إتبَاع العلم بالعمل، وأن على المسلم أن يدعو الناس بسلوكه قبل أن يدعوهم بكلامه، وأن يحرص على الخير لنفسه كما يهديه لغيره، ولنا في رسولنا أسوة حسنة.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يجاء برجل فيطرح في النار، فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان. ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله" (أخرجه البخاري ومسلم).

إنه وعيد عظيم، يثير الفزع في النفوس، بتصور هذا المنظر المخيف، منظر رجل يلقى في النار فتنصب مصارينه من جوفه، ويدور فيها، فيجتمع أهل النار حوله يتعجبون من هيأته ويسألونه عن شأنه وحاله.

إنه ليس وعيداً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مطلوب من كل أحد، ولكنه وعيد على ارتكابه المنكر عالماً به، ينصح الناس عنه ثم يخالفهم إليه ويفعله.

قال ابن علان في دليل الفالحين(490/1): "**فشدد عليه الأمر لعصيانه، مع العلم المقتضي للخشية، والمباعدة عن المخالفة**".

قال الحسن: لقد أدركت أقواماً كانوا آمر الناس بالمعروف وآخذهم به، وأنهى الناس عن المنكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام آمر الناس بالمعروف وأبعدهم عنه، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه. فكيف الحياة مع هؤلاء؟ (حلية الأولياء 155/2) .

الحجة في الدليل والإجماع.. لا في الاختلاف والنزاع "ليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين"

رشيد مومن الإدريسي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقولهم مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل. أمّا الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإنه يُنكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء.

من الأصول المعلومة والقواعد المقررة أن الحجة عند التنازع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ".

قال ميمون بن مهران في معنى الآية: "إلى كتاب الله والرد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبض إلى سنته" الجامع لابن عبد البر بإسناد صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله: "ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيا لم يأمر بالرد إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند التنازع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع". إعلام الموقعين 49/1.

وعليه فالواجب على المرء عند الاختلاف: النظر في الصحيح الراجح من ذلك فيلزمه ويتمسك به أو يتحرى الخروج من الخلاف في **حالة الاشتباه**.

يقول السبكي رحمه الله: "**طريق الرشاد في الأمور التي اختلف العلماء في وجوبها أمران: إما أن يتحرى الخروج من الخلاف إن أمكن، وإما أن ينظر ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيتمسك به**". نقلا عن الاختلاف وما إليه 47.

لا إنكار في مسائل الخلاف؟!

ومن ثم فمن الخطأ الجسيم الذي سار عليه كثير من الناس احتجاجهم **بمطلق الخلاف** على سعة الأمر دون النظر في حقيقة هذا الخلاف ولا معرفة لقوته أو ضعفه.. حيث ترتب عليه القول بعدم الإنكار لمسائل الخلاف **مطلقا**، وهذا سوء فهم لعدم التفريق بين **مسائل الاجتهاد ومسائل الاختلاف**.

فإن مسائل الاختلاف هي كل مسألة اختلف فيها العلماء سواء كان فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا أم لا.

أما مسائل الاجتهاد فهي ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا فيسوغ فيها الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها.

مما يبين بيانا واضحا أن مسائل الاجتهاد هي من مسائل الخلاف لا العكس.

فأهل العلم عندما قرروا أنه "**لا إنكار في مسائل الخلاف**" قصدهم بذلك مسائل الاجتهاد لأنهم كما قرروا ذلك نصوا على أنه "**لا اجتهاد مع النص**" فتنبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقولهم مسائل الخلاف لا إنكار فيها **ليس بصحيح**، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل. أمّا الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً **وجب إنكاره وفاقاً**، وإن لم يكن كذلك **فإنه يُنكر بمعنى بيان ضعفه** عند من يقول المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء.

وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع **وجب إنكاره أيضاً** بحسب درجات الإنكار.

أما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع **وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.**

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس، والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً، مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه، فيسوغ إذا عدم ذلك فيها الاجتهاد لتعارض الأدلة المتقاربة أو لخفاء الأدلة فيها" (بيان الدليل على بطلان التحليل ص 210-211، باختصار).

وقال الشوكاني رحمه الله: "هذه المقالة -أي لا إنكار في مسائل الخلاف- قد صارت أعظم ذريعة إلى سدّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما بالمثابة التي عرفناك، والمنزلة التي بيّناها لك، وقد وجب بإيجاب الله عز وجل، وبإيجاب رسوله صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة، الأمر بما هو معروف من معروفات الشرع، والنهي عما هو منكر من منكراته: ومعيار ذلك الكتاب والسنة، فعلى كل مسلم أن يأمر بما وجده فيهما أو في أحدهما معروفاً، وينهى عما هو فيهما أو في أحدهما منكراً.

وإن قال قائل من أهل العلم بما يخالف ذلك، فقوله منكر يجب إنكاره عليه أولاً، ثم على العامل به ثانياً.

وهذه الشريعة الشريفة التي أُمرْنا بالأمر بمعروفها، والنهي عن منكرها، هي هذه الموجودة في الكتاب والسنة" (السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار 588/4).

ولا يعني هذا أن لا خلاف يسعنا وإنما الكلام عن مطلق الخلاف لا الخلاف الاجتهادي السائغ مع السعي فيه هو بدوره إلى تضييقه قدر الإمكان.

يقول الشافعي رحمه الله: "الاختلاف من وجهين: أحدهما محرم، ولا أقول ذلك في الآخر.

قال- :أي محاوره:- فما الاختلاف المحرم؟

قلت: **كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه.**

وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسا، فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره لم أقل: **إنه يضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص**" (الرسالة 560).

الاختلاف ليس حجة في الشرع

وبناءا عليه **فإن مجرد الاختلاف ليس من حجج الشرع ولا يعتد به كدليل عند العلماء لأنه ليس بتشريع.**

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "**الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده ولا حجة في قوله**" (جامع بيان العلم 892).

وقد قرر هذا الإمام الشاطبي رحمه الله حيث قال: "**وقد زاد هذا الأمر على قدر الكفاية حتى صار الخلاف في المسائل معدودا في حجج الإباحة**، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفا فيه بين أهل العلم، لا بمعنى مراعاة الخلاف، فإن له نظرا آخر".

إلى أن قال: "**وهذا عين الخطأ على الشريعة، حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمدا، وما ليس بحجة حجة**".

ونَقَلَ كلاما للخطابي رحمه الله حيث قال: "**ليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين**" (الموافقات 1414).

ومن خلال ما سبق يتبين الخطأ الذي جرى عليه عمل بعض المشتغلين بالعلم من إيراد **عموم** مسائل الخلاف وحكايتها وسرد الأقوال فيها ونسبتها إلى أصحابها، وربما ذكر أدلة كل مذهب دون **تحقيق** لذلك، **ومن غير بيان للراجح من المرجوح والقوي من الضعيف، مع أن نوع ذاك الخلاف يستوجب ذلك.**

فهذا العرض لمسائل الخلاف يجعل غير الفقيه في حيرة، وربما ظن اشتباه الشرع وصعوبة درك الحق وطلبه.

فهذا الطريق لا يحصل بها بيان، بل هي إلى التعمية وتوعير الطريق أقرب.

وقال الشاطبي رحمه الله: "وكلام الناس هنا كثير وحاصله **معرفة مواقع الخلاف**، لا حفظ مجرد الخلاف" (الموافقات 162/4).

وقال ابن كثير رحمه الله عند كلامه عن آداب المجادلة: "**فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تُنبّه على الصّحيح منها، وتُبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيُشتغل به عن الأهم**" (مقدمة التفسير).

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

يا أمة الله إياك والغيبة فرمضان شهر الحسنات

الغيبة آفة خطيرة ومرض منتشر بين الكثير من المسلمين والمسلمات ولا يكاد يسلم منه إلا من رحمه الله وتداركه برحمته وعفوه وتوفيقه وهدايته، والحقيقة أن التساهل بأمر هذه الكبيرة وعدم إنكارها بين الخاصة والعامة جعلتها أمراً مستساغاً.. وكثير من المسلمين والمسلمات يحجزون أنفسهم ويملكون زمامها عن الوقوع في كثير من الأمور المحرمة ولكنهم لا يستطيعون الابتعاد عن الغيبة وذلك بسبب تزيين الشيطان للمرء الوقوع في عرض أخيه.

وهذه الآفة هي في النساء أكثر من الرجال فعليك يا أمة الله، يا من أنعم الله عليكِ بنعمة الكلام ألا تسخّري نعمة الكلام إلا فيما يرضي الله تعالى، ذلك أن ذكرُكِ لأخواتك وإخوانك في غيبتهم بما يكرهون لا يرضاه الله تعالى وهو من كبائر الذنوب.

حرمها الله تعالى في القرآن بقوله جل وعلا: "وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" الحجرات 12، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة.

وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة بقوله: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".

قال ابن المنذر: "قد حرم النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة مودعاً بذلك أمته، وقرن تحريمها إلى تحريم الدماء والأموال ثم زاد تحريم ذلك تأكيداً بإعلامه بأن تحريم ذلك كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام".

والغيبة قد عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: "الله ورسوله أعلم"، قال: "ذكرك أخاك بما يكره".

ثم اعلمي أختي المسلمة أن الغيبة في شهر رمضان شهر العتق والغفران أعظم جرما منها في غيره، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري، والغيبة من قول الزور وهي تؤثر في صيام المرء.

وهذه أختي الصائمة بعض صور الغيبة (التي قد تخفى على المرء) وما يدخل فيها:

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الغيبة إنما تقع فيما يكرهه الإنسان ويؤذيه فقال: "بما يكره".

قال النووي في "الأذكار" مفصلاً ذلك: "ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته باللفظ أو الإشارة أو الرمز".

ومن الصور التي تعد أيضاً في الغيبة قال النووي: "ومنه قولهم عند ذكره: الله يعافينا، الله يتوب علينا، نسأل الله السلامة ونحو ذلك، فكل ذلك من الغيبة".

ومن صور الغيبة ما قد يخرج من المرء على صورة التعجب أو الاغتمام أو إنكار المنكر.

فاحذري أختي الصائمة من كل صور الغيبة، وإياك وجميع الذنوب والمعاصي، فرمضان شهر تصفد فيه الشياطين وتغلق فيه أبواب النيران وتفتح أبواب الجنان، فهلمي أختي إلى جنة الخلد.

{نور من القرآن والسنة يتخلل واقع الأسرة المظلم في مجتمعنا المغربي..}

أسرة نحو تبني مجتمعها

فقه الزواج

(الحلقة الثانية)

حماد القباج

تحدثنا في الحلقة الأولى من هذا الموضوع البالغ الأهمية؛ عن مَعْلَمين أساسين في طريق زواج ناجح؛ وهما: «**تصحيح المقاصد**»و«**حسن الاختيار**»، وأدير رحى هذه المقالة حول مَعْلَم آخر لا يقل أهمية عن سابقَيه، إذ هو شرط في النجاح المذكور؛ وهذا المعلم هو: «**المعاشرة بالمعروف**».

والمعاشرة: مفاعلة من العِشْرة؛ وهي المخالطة، وهذه المخالطة لا بد منها في كل زواج، وهي شيء زائد على مجرد التعلق والارتباط؛ وإذا كان هذان الأخيران محفوفين عادة بالمحبة والمودة، قائمين على الإعجاب والتقدير، فإن المخالطة تبرز الجوانب السلبية في الحياة الزوجية، وتظهر ما عند طرفي الزواج من خلل وعيب لا يسلم منهما أحد -في الجملة- بشر، وإنما يتفاوتون بحسب ما تلقوا من التربية، ولُقنوا من المبادئ، من هنا جاء النص القرآني يهدي للتي هي أقوم، ويرشد إلى الذي هو أنفع للفرد والجماعة:

أمر الله تعالى الأزواج أن تكون مخالطتهم لزوجاتهن بما عرف حسنه في الشرع والعرف المعتبر، وتضافرت نصوص القرآن والسنة على تأكيد ذلك وشرحه وبيانه:

- قال الله تعالى: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** النساء 19.

وهذه الآية الكريمة هي: الآية التاسعة عشر من سورة النساء، المتضمنة الوصاية بالنساء وبيان أصول الأحكام المتعلقة بهن، وبمحيطهن الطبيعي: الأسرة.

وسأقسم الكلام حولها إلى قسمين:

الأول: مع قوله تعالى: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**.

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: "يعني جل ثناؤه بقوله: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**؛ وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن "**بالمعروف**"؛ يعني بما أمرتكم به من المصاحبة؛ وذلك: إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهنّ عليكم إليهن، أو تسريح منكم لهنّ بإحسان" .[جامع البيان (ج8/ص121)].

ويؤكد دلالة الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: "**فإن لزوجك عليك حقا**". متفق عليه، وفي رواية لمسلم: "**وإن لزوجك عليك حظا**".

وهذا يشمل الحق المعنوي والمادي، ويشمل القول والفعل والسلوك؛ ولذا قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية:

"وقوله: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** أي: طيِّبوا أقوالكم لهن، وحَسِّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** [البقرة:228]" .[تفسير القرآن العظيم (ج2/ص242)].

وهكذا فإن من حق المرأة على زوجها أن ينفق عليها بما يسد حاجاتها؛ فيوفر لها المطعم والكسوة والسكنى وغيرها من الماديات بقدر الوسع والطاقة، وبمراعاة العرف المعتبر.

ويعطيها حقها في الفراش بحيث لا تتشوف إلى غيره.

ويحرص على تعليمها ما تجهل من أمور دينها، وما ينفعها من أمور دنياها.

ويعينها على العمل لآخرتها، ويجتهد في إكرامها والإحسان إليها بالقول والفعل..

فهذا كله داخل في العشرة بالمعروف.

ويقابل ذلك: العشرة المنكرة؛ بأن يكون جبارا متسلطا، يسعى في الإضرار بها ماديا أو معنويا، وأذيتها بالقول أو بالفعل؛ وهذا من الكبائر لقول الله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}**[الأحزاب 58] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا ضرر ولا ضرار**" [رواه مالك].

وسيأتي بيان حكم من هذا حاله، وأنه من أشر الناس وأبعدهم عن الله.

- ومن الأصول القرآنية في باب المعاشرة الزوجية؛ ما تقدم من قول الله تعالى: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** البقرة 228.

قال العلامة محمد رشيد رضا: "هذه الكلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها ما لا يؤدّى بالتفصيل إلا في سِفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله: **{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}** وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}** الآية.

وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشرتهم ومعاملتهم في أهليهم، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال؛ فإذا همَّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه: (إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية).

وليس المراد بالمثل؛ المثل في أعيان الأشياء، وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وهناك عمل يقابله لها، إن لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل، أي أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ويكره ما لا يلائمه وينفر منه، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين في الآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه في مصالحه"[1].

- ومن العشرة الحسنة: العمل بما دل عليه قوله تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** الروم 21.

فالسكون هنا يوحي بمعاني الأنس والاستقرار، وهما مبنيان على (التقدير والاحترام)، والمودة: درجة رفيعة من درجات الحب، الذي هو عنوان (التعلق والارتباط)، والرحمة: صفة تبعث على (حسن المعاملة).

وهذه الثلاثة أركان الحياة الزوجية السعيدة ..

يتبع

1- حقوق النساء في الإسلام ص31-30.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

فقهيات رمضانية

إجابة السائل عن حكم صيام المرضع والحامل

عن أنس بن مالك عن رجل من بني عبد الله بن كعب قال: "أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتغذى، فقال: "ادن فكل"، فقلت: "إني صائم" فقال: "**ادن أحدثك عن الصوم أو الصيام؛ إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل أو المرضع الصوم**..". [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن].

وموطن الشاهد من هذا الحديث الشريف؛ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى وضع عن الحامل والمرضع الصوم.

والمراد: وضَعَ وجوبَ صوم رمضان؛ أي أسقَطَهُ.

وقوله: "أو المرضع"؛ هي هنا بمعنى: "و".

قال في تحفة الأحوذي (ج2/ص:252)

"وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْإِفْطَارِ لِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعَةِ إِذَا خَافَتْ الْمُرْضِعَةُ عَلَى الرَّضِيعِ وَالْحَامِلُ عَلَى الْجَنِينِ".

وهذا القيد -الخوف- قال به كثير من العلماء، واختلفوا في متعلّقه؛ فبعضهم قال: "إذا خافت الحامل على جنينها.."

وبعضهم قال: "إذا خافت المرضع على رضيعها.."

وبعضهم جمع بينهما، وبعضهم زاد: "الخوف على نفسها.."

ولم يَرِد هذا القيد في نص الحديث حسب علمي، ومن المقرر أن الأصل بقاء المطلق على إطلاقه إلا أن يثبت التقييد بنص، ويؤيد ضرورة استصحاب هذا الأصل هنا؛ أن الحامل قد تتضرر أو يتضرر جنينها دون أن تشعر بالضرر، وكذلك المرضع مع رضيعها..، وقد تظهر آثار الضرر لاحقا، وقد أثبتت ذلك الدراسات الطبية المعمقة، وبينت أن الحامل والمرضع تحتاجان إلى الطعام والشراب، وأنهما معرضتان للضرر والإضرار بولديهما في حالة الإمساك.

ويمكن أن نقول استنادا على هذا: إن الضرر قائم في كل الأحوال، أو على الأقل أغلبها، وهذا يعني دوام وجود الشرط الذي قيد به العلماء الحكم الذي دل عليه الحديث؛ وهو: مشروعية الفطر للحامل والمرضع.

وبالإطلاق قال بعض أهل العلم كما نقله الترمذي في جامعه، وهو ظاهر كلام الشوكاني في النيل.

إذا بان لكِ هذا الحكم أيتها القارئة؛ فاعلمي -وفقك الله- أن الشرع المطهر قد أثبت على الحامل والمرضع واجبا في مقابل ما أسقط عنهما من: وجوبِ الصيام أداءً.

وقد اختلف فيه أهل العلم رحمهم الله:

فبعضهم يقول: يجب عليها الصيام قضاءً والفدية، وهو قول الشافعي وأحمد ومالك في رواية.

وبعضهم يقول: يجب عليها القضاء منفردا، وهو قول مالك في رواية.

وبعضهم يقول: يجب عليها الفدية ولا يلزمها القضاء، وهو قول سعيد بن جبير وإسحاق بن راهويه.

والظاهر؛ رجحان القول الأخير؛ لوجهين؛ أحدهما أثري والآخر نظري:

أما الأثري: فلأنه قول الصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو من تفسيره لقول الله تعالى: {**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**}.

عن سعيد بن جبير أن ابن عباس قال لأمِّ ولدٍ له حبلى أو مرضع: "أنت من الذين لا يطيقون الصيام؛ عليك الجزاء وليس عليك القضاء". [رواه الدارقطني في سننه (ج6/ص152) وقال: إسناده صحيح].

فجعل للمرضع والحامل حكم من يجد مشقة في الصيام؛ كالشيخ الكبير والمرأة العجوز.

قال ابن عباس في قول الله تعالى: {**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**}، قال: "ليست بمنسوخة؛ هو الشيخ الكبير الهرم، والعجوز الكبيرة الهرمة، يطعمون لكل يوم مسكيناً ولا يقضون". [رواه البيهقي].

والذين قالوا بوجوب القضاء جعلوهما داخلتين في قوله تعالى: {**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**}، فلهما حكم المريض.

والأول أظهر؛ إذ لا يخفى أن تأويل ابن عباس وفقهه في كتاب الله؛ ركن متين ومورد أمين، لما يحيط به من بركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يرجَّح به في حال تعارض أقوال الصحابة في التأويل، فكيف يكون الأمر إذا **لم يعلم له مخالف**؟

بل ثبت عن ابن عمر مثل قول ابن عباس:

أخرج الدارقطني عن نافع قال: أرسلت إحدى بنات ابن عمر إلى ابن عمر تسأله عن صوم رمضان وهي حامل؟ قال: "تفطر وتطعم كل يوم مسكينا".



وروى أيضا من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر: أن امرأته سألته وهي حبلى؟ فقال: "أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكينا ولا تقضي".

وهذان أثران ثابتان عن ابن عمر كما هو مبين في إرواء الغليل (ج4ص20).

قال ابن قدامة: "وقال ابن عمر وابن عباس: لا قضاء عليهما؛ لأن الآية تناولتهما، وليس فيها إلا الإطعام، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله وضع عن الحامل والمرضع الصوم**". [المغني (ج6ص137)].

أي: فيشمل عمومه صوم الأداء وصوم القضاء، والمراد بقوله: "الآية"؛ قوله تعالى: {**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**}.

أما الوجه النظري: فهو أن هذا القول أرفق بالحامل والمرضع:

وقد بني هذا الحكم (إسقاط الصوم عنهما) على مقصد الرفق بهما ورفع الحرج عنهما، وظاهر أن إيجاب القضاء عليهما فيه مشقة كبيرة؛ إذ يستغرق القضاء في الغالب شهرا كاملا، يكون داخلا في مدة الحمل أو الرضاع، وفي صيامه قضاءً من المشقة ما يسقط كثير منه في حال الصيام أداءً.

أضف إلى هذا أن المرأة قد تكون حاملا في رمضان، ومرضعة في الذي يليه، فتتضاعف عليها المشقة إذا أوجبنا عليها قضاء شهرين كاملين. والله أعلم.

.. إذا ظهر لنا رجحان القول الثالث فيما يجب على الحامل والمرضع المفطرتين، وأنهما في الحكم كالشيخ الكبير والمرأة العجوز: **تجب عليهما الفدية دون القضاء**؛ فإنه يشرع لهما في الفدية ما كان يفعله الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه لما كبر وعجز عن الصيام:

أخرج الدارقطني والبيهقي وغيرهما بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه "أنه ضعف عن الصوم عاماً قبل موته، فصنع جفنة من ثريد، فدعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم".

ولا يتعين الثريد، بل تجزئ الفدية بغيره من الطعام.

والله تعالى أعلم.

بين الصيام والورع (عبادة وحسن معاملة)

قال ابن أبي يعلى في الطبقات (171/1) في ترجمة ميمونة بنت الأقرع المتعبدة رحمها الله:

أنبأنا علي بن عبيد الله حدثنا أبو بكر الآجري أخبرنا المروذي قال: ذكر لأبي عبد الله (الإمام أحمد) ميمونة بنت الأقرع المتعبدة، فقلت له: إنها أرادت أن تبيع غزلها، فقالت للغزال: "إذا بعت هذا الغزل فقل: إني ربما كنت صائمة فأرخي يدي فيه" (أي: فلا يكون الثوب المغزول محكما).

ثم ذهبت ورجعت فقالت: "رُد عليّ الغزل؛ أخاف أن لا يبين الغزال هذا" فترحم أبو عبد الله عليها، وقال: "قد جاءتني وكتبت لها شيئاً في غسل الميت".

قلت: رحمها الله؛ لم تجعل صيامها سببا لتسويغ نقص في عملها، ولم تجعل عبادتها علة لإنفاق ما قد يكون اختل من سلعتها ..

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

أخطر آليات تحقيق الأماني الراندية (محاولة استشرافية حاذرة)

د. سعد بن مطر العتيبي

يقوم علم (استشراف المستقبل) على منهجيات تعتمد أموراً كثيرة، منها: وضع المشاهد المستقبلية (السيناريوهات) في ضوء أنماط المشاهد الماضية، وبتعبير آخر: الإفادة من التجارب التاريخية الناجحة في وضع استراتيجيات مستقبلية مشابهة.

إن التجربة التاريخية الخطيرة التي لا أظنها تغيب عن المنظرين الغربيين من الليبراليين على وجه الخصوص، هي تلك الوثيقة الكنسية أو (المدونة البابوية) التي وضعتها الكنيسة الغربية لها ولأتباعها متخلية بها عن ثوابتها، وما كانت تقضي به لنفسها من حقوق وما تضعه عن نفسها وأتباعها من واجبات، لتحظر عليهم ما كان واجبا في ديانتها، وتحجِّر عليهم ما كان واسعا في نظرها، وتمنح فيه خصومها من اللادينيين مكاسب هائلة تتمثل في تخليها لهم عن الشؤون السياسية والعلمية وحتى الدينية تحت مسمى (المدنية).

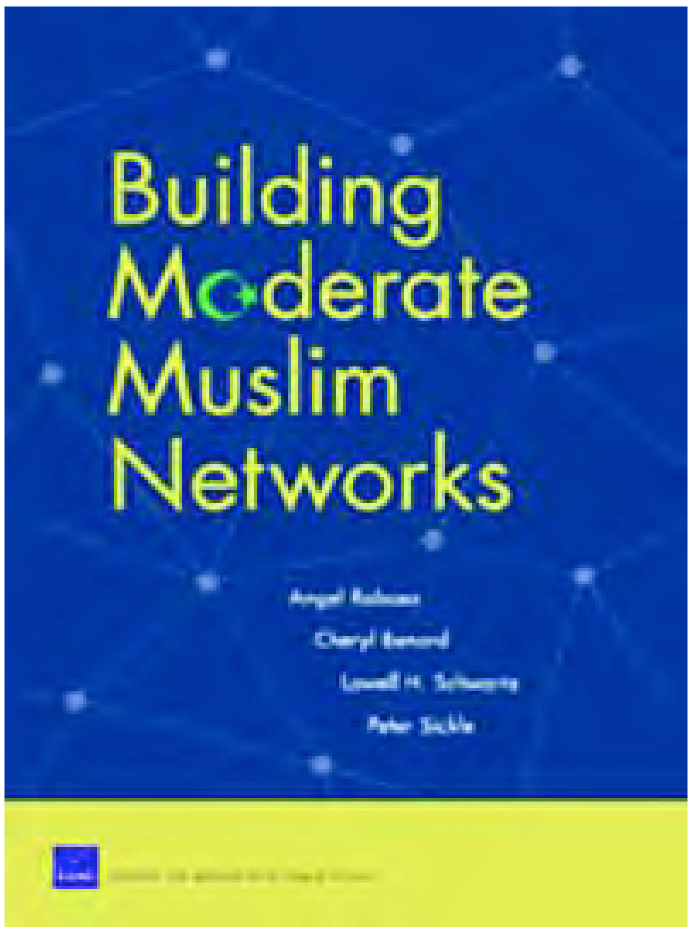
ومن أهم فوائد علم الاستشراف (الدراسات المستقبلية): أنه يُعنى بكشف المشكلات المتوقعة قبل حدوثها، ليتم التهيؤ لمواجهة تلك المشاكل، ببذل الجهود البحثية ووضع التراتيب والخطط والسياسات المضادة، لمنع وقوع تلك المشكلات في بداياتها أو الحد من آثارها بعد تقدم خطواتها، وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين: (وظيفة الإنذار المبكر).

وإذا حاولنا استشراف المشهد المستقبلي للنموذج التاريخي المشار إليه في تحقيق الأماني الراندية، وهو ما لم يصرح به التقرير المعلن لمؤسسة "راند"، فإننا سنصل إلى نتائج تستوجب الحذر، بل الحذر الشديد، خشية أن نقع ضحايا لخطط معلنة!

وفي بيان المشهد التاريخي، سنبدأ بعرض بعض مواد تلك الوثيقة البابوية والتنازلات الكنسية، التي وضعها المتدينون النصارى لغير المتدينين، وإن شئت فقل: قدَّمها الكنسيون للملحدين دون مقابل! وعنونها خبيرُ الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية أستاذُنا د. محمد بريش بـ (الاستبداد الديني! أو كشف اللثام عن المدونة البابوية للمحظور من الفكر والكلام - حفريات معرفية في جذور صراع الكنيسة مع العلمانية). ولم يجانب أستاذنا الحقيقة في عنوان دراسته، فقد جاءت المادة 19 من تلك الوثيقة بتنازل كبير يمنح السلطة غير الدينية تحديد حقوق الكنيسة، وهذا نص ما جاء في المدونة البابوية: "الكنيسة ليست مجتمعا صحيحا ومثالياً كامل الحريّة، وليست لها حقوق خاصّة ودائمة ومخوّلة لها من طرف مؤسسها المقدس، بل من حق السلطة المدنية أن تحدد ما هي حقوق الكنيسة، وفي أي حدود يمكنها ممارسة تلك الحقوق".

وجاءت المادة 31 بتنازل عن سلطتها في جانب الأحكام المدنية والجنائية، ونصه: "إن المنتدى أو المحكمة الكنسية للأحكام الدنيوية لرجال الدين، سواء على الصعيد المدني أو الجنائي، يلزم أن تُلغى كليّة، وحتى بدون استشارة الكرسي البابوي، ودون أي اعتبار لاحتجاجاته".

بل منحت السلطة المدنية حق التدخل في القضايا التي تتعلق بالدين والتوجه الروحي! كما في المادة 43 ونصها: "يحق للسلطة المدنية التدخل في القضايا التي تتعلق بالدين والأخلاق والتوجه الروحي، ومن ثم فإنه يمكنها الحكم على الأوامر والتوجيهات الصادرة عن قساوسة الكنيسة".



وفي المادة 53 ألغت المدونة الكنسية القوانين التي تحمي ميثاق المجموعات الدينية، وتعطي الحكومة الحق في مساندة من يتخلون عن دينهم: "يلزم إلغاء القوانين التي تحمي ميثاق المجموعات الدينية وحقوقها ووظائفها. يمكن للحكومة المدنية أن تساند كل أولئك الذين يرغبون في التخلي عن الحالة الدينية التي اعتنقوها ومخالفة عهودهم الرسمية، وفي نفس الوقت يمكنها -أي الحكومة المدنية- أن تحل كل هذه المجموعات الدينية، وكذلك الكنائس الجامعية، ومكاسبها البسيطة في حق الإشراف، وإخضاع ممتلكاتها ومداخلها لإدارة وقوة السلطة المدنية".

وفي المادة 55 حققت المدونة البابوية أمنية العلمانيين، بقولها: "يجب فصل الدين عن الدولة، وفصل الدولة عن الكنيسة".

ومن هنا يمكننا أن نبدأ قراءة استشرافية لتقرير راند المعنون بـ "بناء شبكات مسلمة معتدلة، Building Moderate Muslim Networks" وذلك في نقاط تقتصر على الإشارات:

أولاً: لنفترض كيفية وقوع تلك التنازلات:

- ربما كانت نتيجة اختراق للمجالس الكنسية ممن يتظاهرون بالدين!
- أو نتيجة تغييرات تربوية وسلوكية طرأت على بعض القيادات الدينية نتيجة تأثرها بنظريات فلسفية مُخترقة عالقة، أو تصرفات كنسيةٍ متناقضة، أو اضطهاد داخلي، ونحو ذلك من المؤثِّرات..
- أو نتيجة ضغوط هائلة تمثلت في أكوام من الاتهامات الخطيرة حول ظلم الكنيسة واستبدادها وفسادها وتشويه سمعتها، لوضعها في موقف الدفاع، حتى أخذت تدافع بتنازل تلو تنازل، ويضغطون علميا (والتصرفات الكنسية الاستبدادية وغيرها قابلة للنقد العلمي ولا شك وهو ما لا يصح إسقاطه على الإسلام)، ويضغطون إعلاميا، حتى أدى ذلك في نهاية المطاف إلى انهيار أهم مبادئ الكنيسة (المحرّفة) التي كانت ترتسمها على مرّ حقبها التاريخية، بأقلام القساوسة والكهنة نتيجة هذه الضغوط وإشغالها بالدفاع الذي يضطرها للتنازل، ثم إقناعها بفشل مبادئها السائدة آنذاك وتنازلها عنها بإصدار المدونة آنفة الذكر..
- وربما كانت هذه المدونة صنيع فئة أكثر حضوراً، وأقوى أثراً وتأثيراً من الفئة المحافظة داخل الكنيسة، في حين كان المحافظون صوتا خافتا عاجزا، تمّ تجاوزه بقوة الخروج إلى الواقع بعد صنع قيادات بديلة.

ثانياً: لنقرأ لبّ تلك التنازلات في المشهد التاريخي:

مما يمكن ملاحظته عند محاولة قراءة ذلك المشهد التاريخي: أنّ الدين لم يُستبعد تماما، كأثر من آثار التنازلات الكنسية، وإنما جُسِّد في شعارات وطقوس ووظائف تابعة فارغة من معاني السيادة والتمكين، ليحقق أغراض السياسيين اللادينيين في هدوء واطمئنان!

وهذا الأمر ذاته تحقق في الحالة الأوروبية المعاصرة، فلا زلنا نجد النص على الدِّين في دساتير عدد من الدول! وهو أمر يطول الحديث فيه وفي دلالاته.

- ومع ذلك فقد كان للمدونة البابوية أثر ظاهر في تغيير مناهج التعليم، فكان من أولى الخطوات التي نتجت عن التنازل الكنسي في المجال التعليمي: استبعاد ما يتعلق بذم اليهود في مناهج التعليم الأوروبية!
- كما كان لتلك المدونة أثر أكبر في الجانب (التقنيني) والقضائي، فقد تم إلغاء كل ما كان للكنيسة من ذلك، بنص الماد 31 السابق ذكره، بل أعطت المدونة الكنسية للعلمانيين حقا بالتدخل في القضايا الدينية والخلقية

والروحية! وهو ما نصت عليه المادة 43.

- وأمَّا حرية الخروج على الدين والتجديف الإلحادي فهذا لب المادة 53 من تلك المدونة التي صنعها رجال الدين!

- وأمَّا لبّ العلمانية في الناحية السياسية فهو ما نصت عليه المادة 55 التي أوجب فيها (رجال الدين) فصل الدين عن الدولة والدولة عن الدين!

وإذا عدنا إلى واقع أمتنا، واستكملنا نظرتنا إليها بوضعها في مشهد (راندي) مستقبلي متواضع التحليل، فإننا سنجد من خطوات الواقع ما يعطي مشهدا للمستقبل -ما لم نُغير ما بأنفسنا- وذلك في جهتين:

الأولى: من جهة ظهور الدعوات التي يطمح الرانديون في تحقيقها، وسأقتصر على أوضح أصولها:

1- ظهور الدعوات المناقضة للإسلام، كالفكر العلماني والليبرالي وإن بلبوس إسلامي، مستغلة الانحراف الفكري، لفئة من المحسوبين على أهل العلم والدعوة، منذ قرن، كما في كتاب (الإسلام وأصول الحكم، المنسوب لعلي عبد الرازق).

2- ظهور الدعوات التي تطالب بتغيير مناهج التعليم في البلاد الإسلامية ظهورا خطرا، كما نشهد المناداة الإعلامية بتغيير المناهج في جميع بلاد الإسلام دون استثناء، ولم تخلُ تلك الدعوات من الإشارة إلى مراعاة الآخر، وإن كان الآخر ذلك الصهيوني المحتل لفلسطين.

3- ظهور التحريفات في الدين وتأويل النصوص من عدد من الكتّاب ممن يحسبون على أمة الإسلام، ممن بلغت بهم الجرأة أو الجهل أو الانهزامية حدّ المجاهرة بإحياء الدعوى القاديانية المنادية بإباحة الردة عن الإسلام، وعدم تجريم فاعلها، بل معاقبته، وذلك ضمن مقولات باطلة منها: نفيهم لمشروعية عقوبة المرتد، مع أنها دعوى قاديانية المنشأ، باطلة بطلان الديانة القاديانية.

ومن يقرأ تاريخ القاديانية في الهند يجدها مشهدا تاريخيا من مشاهد تمرير المشروع الغربي، إذ هي صنيعة الحاقدين من المستشرقين وعملاء الجيش الإنجليزي، وما أشبه الليلة بالبارحة، فتلك الهجمة الفكرية تسببت في ظهور فتاوى من بعض علماء الهند تضمنت تنازلات من أخطرها جعل جهاد المحتل أمراً غير مشروع!

الثانية: من جهة الآليات التي يُتوقع لجوء منفذي المؤامرة الراندية، في ضوء المشهد التاريخي للمدونة البابوية:

1- جمع شمل شتات ذوي الأفكار المنحرفة والسعي في التنسيق بينهم في صور متعدِّدة، من مثل: المنتديات والمؤسسات الفكرية العامة في ظاهرها، واللقاءات الشخصية والاستقطابية، والإبراز الإعلامي لأشخاص مغمورين أو منحرفين معروفين، وكذا التنظيمات التي تتخذ من (مؤسسات المجتمع المدني) شعارا، ومن (الليبرالية) مسارا، ومن المنح (الأجنبية) زادا للخيانة.

2- التنقّص من الشخصيات العلمية والدعوية الحقيقية، كأفراد العلماء الربانيين، والاعتبارية كهيئات الإفتاء ولجانه المعتبرة، وذلك ابتغاء كسر جلال العلم وتحطيم محدِّدات المنهج، وفتح الطريق للمشروع الأجنبي!

3- السعي في اختراق المجامع الفقهية والمجالس والروابط العلمية الإسلامية القائمة، وتكوين أكثرية مطلقة، ولو كانوا من الإداريين، ليظهر أثرها في القرارات التي تتطلب تصويتا.

4- الضغط على المسلمين دولاً أو جمعيات أو مجامع فقهية أو مجالس إفتاء أو تجمعات إسلامية، أو كلٍّ ذلك، لاستصدار بيانات ومواثيق متخاذلة تضع من المصلحة الملغية أو المتوهمة مستندا لتنازلاتها، ثم تمرير مضامينها بشكل ما.



5- إيجاد مجامع أو مجالس أو روابط من المنحرفين فكريا ممن ينسبون للعلم الشرعي أو الدعوة الإسلامية، وتلقيبهم بألقاب العلم والفتوى والفكر الإسلامي والخبرة إلخ!.. ولا سيما في حال فشل محاولات الاختراق للمجامع الفقهية والمجالس الإفتائية القائمة.

6- استهداف إصدار بيان من علماء مسلمين ينتمون إلى مجمع فقهي يتبع منظومة الدول الإسلامية، تُقدِّم فيه تنازلات، على نمط المدونة البابوية: تنازلات عن المناهج التعليمية المحافظة وعن القضاء الشرعي حتى في الأسرة والأحوال الشخصية، وعن الوقوف في وجه المرتدين بل وفتح المجال للردة الجماعية أمام إرساليات المنصرين، ويُبقى فيه على مسمى الدِّين على النحو الوارد في تقرير راند 2003م، وربما يسمح بذكر الإسلام في بعض الدساتير الإسلامية، وما تمثيلية الدستور (العراقي) عنا ببعيد.

7- استصدار قرارات من المجامع أو المجالس أو الروابط أو الجمعيات العلمية تخدم الأهداف الراندية.

8- فرض مقتضيات البيان والقرارات المجمعية على الدول الإسلامية التي تمتنع عن تطبيقه، وذلك من خلال آليات ما يُعرف بـ (الشرعية الدولية) كميثاق الأمم المتحدة، سلماً بالفصل الخامس وحربا بالفصل السابع، بحجة حماية حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية ونحو ذلك من شعارات القوم.

ولقد رأينا بوادر ذلك، وهو ما حمل على كتابة هذه الرؤية الاستشرافية الحاذرة، مع علمي بأنها دون التحقيق المطلوب، وإننا لنناشد علماء الإسلام في المجامع الفقهية والتجمعات العلمية أن تقف وقفة الحامي لحمى الإسلام الذائد عن حياض الشريعة.

كما نناشد قادة الأمة الإسلامية أن يأخذوا كل الاحتمالات في الاعتبار، ويقفوا بكل ما أوتوا من قوة في وجه كل محاولة لتغيير الدين أو التنقّص من ثوابته، أو تشويه نقائه، فإنهم مسؤولون أمام الله تعالى أولاً ثم أمام شعوبهم، وتاريخ أمتهم ثانياً. وليس ذلك عسيرا، فقد وقفت الدول الإسلامية الجادة، في إبطال بعض المؤتمرات الدولية المُغرضة، وقفة تشكر عليها.

زنا الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية
نتائج الحضارة الغربية

تباشرت وسائل الإعلام الأمريكية بصدور تقرير حكومي جديد يشير إلى انخفاض الزنا بين المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2005م إلى 47 % (6.7 مليون مراهق) بعد أن كان مستقراً عند 54 % منذ عام 1991م.

كما انخفضت ولادات الزنا لدى المراهقات في الفئة العمرية من 15 إلى 17 سنة إلى 21 ولادة لكل ألف مراهقة، بينما بلغ هذا المعدل 40 ولادة زنا لكل ألف مراهقة لدى الفئة العمرية 15 إلى 19 سنة في عام 2005م.

كتعليق على الخبر نقول:

أولاً: نشك أن أياً من وسائل الإعلام المحسوبة علينا، والتي تشن حملةً على الحجاب والحشمة، والفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قد أشارت إلى هذا التقرير بالرغم من أنه كان في صدر الصفحات الأولى لوسائل الإعلام الأمريكية، حيث أنهم مشغولون بنشر صدور المثلات، والماجنات، والساقطات.

ثانياً: هذا مؤشرٌ آخر للانحطاط الأخلاقي والاجتماعي والأسري الذي يعيشه المجتمع الأمريكي، والذي يغفل -أو يتغافل- عنه الكثير من المخدوعين ببهارج هذه الحضارة، والذين ينادون باستيراد نمط المعيشة الأمريكي الغث والسمين كي نتقدم ونتحضر!

ثالثاً: التقرير خاص بمعدلات الزنا لدى المراهقين لأن ذلك في العرف الأمريكي مشكلة، أما زنا الرجال والنساء البالغين فحرية شخصية طالما أن الطرفين راضيين.

رابعاً: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم" رواه الحاكم والبيهقي وابن ماجه.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

مراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية

الحسن بن الحسين العسال

إن بني علمان لم يكتفوا بما يسمونه "المساواة"، بل انتقلوا إلى مصطلح جديد، اخترعوه ليقضوا من خلاله مآربهم، وهو ما اصطلحوا عليه "بالتمييز الإيجابي".

فمن منطلق "التمييز الإيجابي" كانت "سلمى" السالفة الذكر خالية من أي عيب؛ وكان سمير المسكين يعج بالعيوب مما احتاج معه إلى تخليته، ثم إلى تحليته.

هذه هي مراجعة البرامج والكتب المدرسية، وإلا فلا!

ورد في الميثاق الوطني للتربية والتكوين ما يلي: "الدعامة السابعة من الميثاق: **مراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية والوسائط التعليمية**".

فهل تم تطبيق هذه الدعامة؟ وهل تم بالفعل أجرأتها؟

الجواب: لا، وإليك الدليل أيها القارئ الكريم مع بعض الأمثلة الطويلة، والتي أدعو الله ألا تكون مملة، لأن المقام يقتضي هذا الطول، لإثبات الدليل وإقامة الحجة.

على مستوى المناهج

في كراسة التلميذ -مثلا- المسماة "كتابي في اللغة العربية" /المستوى الأول، عدة عيوب منهجية:

1- نصوص التعبير طويلة، وغير مشكولة، منذ أول حصة من السنة الدراسية إلى آخر حصة منها!

2- الكلمات القرائية غير مشكولة كذلك، والصورة المصاحبة لها مركبة، يجد التلميذ عناء، في العثور على صورها المعبر عنها بالكلمات، إن لم يكن من المستحيل، خاصة بالنسبة لتلميذ البادية، الذي يلزمه أن تكون تحت كل كلمة صورة مستقلة تعبر عنها.

3- عدم التدرج في أنشطة الكراسة، حيث يطلب من التلميذ -مثلا- في نشاط: "أقرأ وأستعمل"، أن يكتب سؤالا عبارة عن جملة منذ الأسبوع الأول من السنة الدراسية!

4- وفي نشاط: "أقرأ وأركب" يطلب منه ترتيب أربع كلمات للحصول على جملة مفيدة، وهذا مما يستحيل على تلميذ لم يمر بالتعليم الأولي. (وهنا أفتح قوسين لأقول إن أسرة التعليم العاملة في البوادي كانت تنتظر تغييرا على مستوى المناهج والكتب المدرسية يأخذ بعين الاعتبار خصوصية التعليم في البوادي وعوائقه ومشاكله).

5- تقارب بعض الحروف المتشابهة، في زمن التدريس، فتدريس حرف التاء لا يفصله عن الباء إلا حرف اللام. أو تتابع بعض الحروف المتشابهة، في زمن التدريس، مثل تدريس العين ويليه مباشرة الغين، والدال ويليه مباشرة الذال، والطاء ويليه مباشرة الظاء. وهذا يحدث بلبلة في ذهن التلميذ، فتختلط عليه هذه الحروف المتشابهة.

على مستوى الكتب

1- في كراسة التلميذ كتابي في اللغة العربية/المستوى الأول، وفي نص التعبير المعنون بـ "أصدقاء توتو وسلمى"، النص يتكلم عن اليمامة **البيضاء**، إلا أنها رسمت **بالرمادي**؛ وفي النص الملحق يتم الحديث عن اليمامة الصغيرة، إلا أنها رسمت على شكل الطائر "توتو"، وهو طائر يشبه **الببغاء**! وهذا التناقض الصارخ بين المضامين والرسوم المصاحبة لها كثير؛ مما يشوش ذهن التلميذ.



2- وفي درس قياس الأطوال من كتاب "الجيّد في الرياضيات" للمستوى الثاني، على التلميذ متابعة رسم قطعة ليصل طولها إلى 1 ديسمتر، إلا أنه إذا فعل سترسم القطعة فوق الكتابة المتممة للتمرين.

3- في كتاب "الأساسي في النشاط العلمي"، درس التعاقب الزمني للأحداث، التمرين 8، المطلوب من التلميذ ترتيب الصور، بملء البطاقات باللون المناسب، و"لمساعدة" التلميذ تم تلوين المربع الثاني باللون الأحمر، وحقه أن يلون باللون الأسود، وعوض مساعدته، تم إرباكه، بهذا الخطأ الذي لم يصحح في جميع الطبعات الصادرة لحد الآن، فعن أي مراجعة يتحدثون!

4- في دليل الأستاذ المستوى الثاني، "الجيّد في الرياضيات"، درس "معلمة الخانة"، تم الاقتصار على ثلاث حصص، ولا وجود لحصة الدعم وهي الرابعة، مع العلم أن حصص الرياضيات في المستوى الثاني أربع حصص.

5- وفي الطبعة الخامسة لسنة 1427هـ/2006م من كراسة التلميذ للسنة الأولى "الأساسي في النشاط العلمي" تم حذف ثماني حصص من درسي التوالد والماء، مما يثير استغراب التلاميذ أنفسهم، ويحدث البلبلة في القسم، فتلميذ يقول: "أنا عندي"، وآخر يقول: "أنا ليس عندي". والمسؤولون ماذا عندهم؟

والسؤال المطروح إذن، **أين مراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية؟**

بل أين اللجنة الساهرة على هذه المراجعة؟ والتي ينص عليها الميثاق في مادته 107، حيث يقول: "ولهذه الغاية ينظر في الأجهزة قصد تفعيلها أو إصلاحها **لإحداث لجنة دائمة للتجديد والملاءمة المستمرين للبرامج والمناهج**".

التغيير الواضح الفاضح

أما التغيير الواضح لكل ذي عينين، وهو التغيير المراد إحداثه على مستوى القيم، والمستند إلى المادة الثانية عشرة، من حقوق وواجبات الأفراد والجماعات: "يعمل نظام التربية والتكوين على تحقيق مبدأ **المساواة** بين المواطنين، **وتكافؤ الفرص** بينهم، وحق الجميع في التعليم، إناثا وذكورا، سواء في **البوادي** أو الحواضر، طبقا لما يكفله الدستور".

الناظر إلى هذا النص مجردا، دون وضعه في السياق العام، والظروف الاجتماعية والسياسية التي تمر بها بلادنا، ودون الأخذ بعين الاعتبار الهجمة الشرسة على قيمنا الإسلامية التي يشنها الغرب، وعلى رأسه أمريكا، على عالمنا الإسلامي، يبدو له هذا النص بريئا لا غبار عليه.. إلا أن هذا الانطباع يتلاشى بمجرد الاطلاع على كتب التلاميذ من حيث المضامين، وكذا

←

من حيث الصور المصاحبة لها ليبدو له جليا ما المقصود بالمساواة؟ وما المقصود بتكافؤ الفرص؟

كيف تم تطبيق دعوى المساواة، وتكافؤ الفرص على مستوى المضامين؟

في كتاب التلميذ للسنة الأولى "كتابي في اللغة العربية"، وفي مادة التعبير تدور الحكايات حول شخصيتين محوريتين، هما: سلمى وسمير.

فسلمى دائما نظيفة ونشيطة ومطيعة لأمها ومحترمة لقوانين السير ومجدة في عملها، أما سمير فهو على العكس منها تماما؛ لأنه طفل مهمل، يرمي ملابسه وكتبه وأدواته أينما اتفق، "ويخرج، بمجرد عودته من المدرسة، مسرعا إلى الحديقة ليلعب، وأمه "لا ترتاح لتصرفاته"، وأثناء لعبه، يسقط الكرة على الأغصان والزهور فتكسرها.

بل إنه أصاب أنف كريم بالكرة، ومرة "تناول موزة، ورمى قشرتها على الدرج"، وبعد عودته من اللعب داس قشرة الموز، فتكسرت قدمه؛ وبعد ذلك ندم على ما كان يفعله، وعاد إليه صوابه. لكن بعد الدرس الخامس إلى غاية الدرس الثاني عشر، وبعدما آب سمير إلى رشده، لم يعد التركيز على سمير باعتباره شخصية محورية! بل أصبح يُتناول ضمن مجموعة من الأصدقاء. عكس سلمى التي بقيت شخصية محورية تسلط عليها الأضواء طيلة اثنا عشر درسا، دون أن يذكر في حقها ولو عيب واحد.

وبعدما انتهت سلسلة سلمى وسمير، تم الشروع في "سلسلة أحلام": الطفلة العطوف الحنون الكريمة، خلال ثمانية دروس، تخللها الحديث عن أخيها بدر عندما تم ختانه، ولم يركز عليه هو الآخر كشخصية محورية.

وفي نص آخر: "شاهد الصغيران الفرسان يلبسون ملابس تقليدية، ويمتطون ظهور جياد أصيلة"، فانظر -أيها الغيور- إلى مكر العبارة: الخيول أصيلة، أما الملابس [جلباب وعمامة ونعل] فلا أصالة لها، بل هي مجرد تقاليد بالية عفا عنها الزمن، ولا يتم ارتداؤها إلا لجلب السياح، أو في بعض المناسبات، وليست من الدين في شيء، أما المعاصرة فبريئة من الجلباب والعمامة.. هذا ما يراد غرسه في أذهان فلذات أكبادنا.

على مستوى الصور

أما على مستوى الصور، فحدث ولا حرج عن التبرج والسفور، وعن التغنج في كيفية القيام والقعود، وهذا بالنسبة لطفلات في عمر الزهور.

وهناك مثال آخر في كتاب التلميذ "الجديد في الاجتماعيات"، المستوى الخامس، وفي أول درس من مادة التاريخ، والمعنون بـ: "حياتنا بين اليوم والأمس: السكن واللباس".

ففي هذا الدرس وضعوا صورة شمسية لرجل يلبس جلبابا وسلهاما، وزوجته ترتدي النقاب والعباءة، وذيلوا الصورة بتاريخ التقاطها، وهو1920م، وبجانبها صورة ثانية لرجل بطاقية وجلباب، وزوجته بالنقاب والجلباب، وذيلوا الصورة بتاريخ التقاطها، وهو:1960م. أما الصورة الثالثة فتتضمن: شابا يلبس قميصا إفرنجيا، ويتكئ بصدره على شابة كاشفة عن شعرها، وهي تلبس سريدة وسروالا ضيقين، يصفان تقاسيمها أكثر مما يستران عورتها؛ والشابان يبتسمان لبعضهما.

خلاصة

لقد وجد بنو علمان تطبيق ما كانوا يدعون إليه، مدفوعين في ذلك من المستخرب القديم [فرنسا]، والجديد [أمريكا]. ومن أمثلة هذه الدعوة المشؤومة: أن أحد أشد بني علمان حقدا على الإسلام، ألا وهو جمال براوي، كان ضيفا على القناة العلمانية الثانية، فجعل ينفث سمومه على كل ما يمت للإسلام بصلة؛ ومما قاله



واستشاط منه غضبا، أن ابنه أخبره بأن المدرس قال لهم: إن خير الألوان بالنسبة للمسلمين اللون الأبيض! فبدأ العلماني الحاقد، يزمجر ويرعد ويزبد، وينادي بحذف مثل هذه الأفكار من الكتب المدرسية، التي تربي الأبرياء على التطرف حسب زعمه، وما درى المسكين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قال: "**البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**" (رواه أبو داود والترمذي)، وفي رواية للنسائي والحاكم: "فإنها أطهر وأطيب"، عوض: "فإنها من خير ثيابكم".

قال الشاعر:

إن كنت تدري فتلك مصيبة
وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

وانبرت إحدى العلمانيات حينئذ لتدافع عن الكفار حتى وهم مجرد رسوم، فيما كان يعرف بمادة "التربية الفنية"، حيث بدأت تدعو إلى "التسامح، وثقافة الاختلاف"، لا لشيء إلا لأن رسوم الكفار كانت فيها ملامحهم متجهمة، ورسوم المسلمين كانت على العكس من ذلك، فما كان منها إلا أن شنت هجومها الشرس على الإسلام، بدعوى أنها تحارب "التطرف"، ومن هنا دعت إلى تغيير هذه البرامج، لتتفق وأفكارها العلمانية، المستمدة من الثقافة الغربية الملحدة.

فلماذا كل هذه الغيرة على الكفار؟ ولماذا كل هذا الحقد على الإسلام؟

يقيمون الدنيا ولا يقعدونها على ما يعتبرونه، في عرفهم شكليات، وفي عرف البعض قشورا، ويتهمونك بكل المفردات التي يحلو لأمريكا أن تنعت بها المسلمين، إذا دافعت عن ثوابتك ومبادئك.

إن بني علمان لم يكتفوا بما يسمونه "المساواة"، بل انتقلوا إلى مصطلح جديد، اخترعوه ليقضوا من خلاله مآربهم، وهو ما اصطلحوا عليه "بالتمييز الإيجابي".

فمن منطلق "التمييز الإيجابي" كانت "سلمى" السالفة الذكر خالية من أي عيب؛ وكان سمير المسكين يعج بالعيوب مما احتاج معه إلى تخليته، ثم إلى تحليته.

هذه هي مراجعة البرامج والكتب المدرسية، وإلا فلا!

ومن منطلق "المساواة" كانت سلمى تلبس مثل سمير، حذو القذة بالقذة.

ومن منطلق المساواة، كان درس "التاريخ"! وما أدراك ما التاريخ! التاريخ الذي يجب أن يتعلم منه النشء أمجاد الأجداد، كي يحذو حذوهم، ويعمل على إرجاعها، لأن أمة بلا ماض لا حاضر ولا مستقبل لها، جعلوه يدور حول تطور اللباس، ليغرس في أفئدة الناشئة ووجدانهم أن الحجاب ما هو إلا مجرد لباس عفا عنه الزمن، ولم يكن أبدا فريضة شرعية، أوجبها الله في كتابه العزيز، وحث عليها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة.

ومن منطلق "المساواة" أيضا، وفي درس التاريخ الآنف الذكر، أصبح الاختلاط، بل وملامسة الذكر للأنثى أمرا مشروعا، ومن مقتضيات العصر، وتطور الزمان، ومن متطلبات الانفتاح والتفتح والحداثة.

ولا أدري من أي منطلق تم تقليص حصص القرآن الكريم من ست إلى أربع حصص، والمدة الزمنية لمكون التربية الإسلامية [القرآن، العقيدة، الآداب] من أربع ساعات إلى ثلاث ساعات وربع، في السنتين الأوليين من التعليم الابتدائي.

أما تلك العيوب المنهجية، والأخطاء التي في الكتب المدرسية، والتي تشكل عائقا يحول دون تحقيق جودة التعليم، فلا حاجة لمراجعتها لأنها شكليات لا تهم الأسياد الغربيين -أصحاب القرار- من قريب ولا من بعيد.

أما مراجعة الوسائط التعليمية، والتي تحدثت عنها الدعامة السابعة من الميثاق، فلا نعم منها، خصوصا في البوادي، وبصفة أخص في الوحدات المدرسية، إلا بطبشورة وسبورة، ومن كان محظوظا استعان بالوسائط التقليدية الأخرى، أما الوسائط الحديثة، يا أهل الحداثة! فإننا لم نجد حتى ريحها، وإن ريحها لمن مسيرة كذا وكذا.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

بعض النيات المستحب استحضارها في رمضان كي يعظم الأجر والثواب

لا نريد في هذا المقال الحديث عن المبحث الفقهي من استحضار النية في رمضان، هل يكفي المسلم استحضار النية للشهر كله أو يلزم استحضار النية لكل يوم على حدة؟ وإنما الغرض المبحث السلوكي من استحضار نيات متعدد لعبادة واحدة، بغية تكثير الأجر والثواب، مصداقا لقول الصادق المصدوق في الحديث القدسي: "إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة" صحيح مسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" متفق عليه.

نيات الصيام

1- يقول صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" رواه مسلم.

2- قال صلى الله عليه وسلم: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب في النهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيُشفعان" رواه أحمد.

3- قال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا" متفق عليه.

4- قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة..." متفق عليه.

5- قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه" رواه مسلم.

6- قال صلى الله عليه وسلم: "ولخُلُوفُ فيه أطيب عند الله من ريح المسك" رواه مسلم.

7- قال صلى الله عليه وسلم في صيام النافلة: "وما يزال عبدي يتقرب بالنوافل حتى أحبه" رواه البخاري.

8- التضييق على الشيطان في التمكن من الإنسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". رواه البخاري والصيام يضيق مجرى الدم في الإنسان فتضيق بالتالي على الشيطان في شهر رمضان.

9- قال صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه.

10- حصول التقوى، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة.

11- قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه" رواه البخاري.

12- قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} الزمر.

والصوم فيه أنواع الصبر الثلاثة: صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على أقدار الله، ما يصيب المؤمن من العطش والكسل والملل ما يتألم ويتأذى به ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله تعالى.

13- قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} العنكبوت، فمن أحسن فيما أمر الله أعانه الله ويسَّر له أسباب الهداية والطرق الموصلة لله عز وجل {إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} التوبة.

كل هذه نيات يلزم المسلم استحضارها حال صيامه، رجاء تحصيل أكبر قدر ممكن من الحسنات في هذا الشهر المبارك الذي يضاعف فيه الأجر والثواب، ويعظم فيه الوزر والعقاب.

مع السلف في قراءة القرآن

عن عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن السلمي قال: "أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم".

عن إبراهيم قال: "كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال".

عن ابن شذوب قال: كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرا، ويقوم به في الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الآكله فنُشرت.

قال سلام بن أبي مطيع: "كان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة".

وروى إسحاق المسيبي عن نافع قال: "لما غُسِّل أبو جعفر القاريء، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن".

قال يحيى الحماني: "لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة".

وقال أحمد بن ثعلبة: سمعت سلم بن ميمون يقول: "قلت لنفسي: يا نفس، اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلّم به، فجاءت الحلاوة".

عن الأعمش قال: "كان يحيى بن وثّاب من أحسن الناس قراءة، ربما اشتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد".

قال أبو بكر بن الحداد: "أخذت نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعا وخمسين ختمة، وأتيت في غير رمضان بثلاثين ختمة".

رمضان شهر التوبة والغفران

رمضان فرصة الزمان.. هكذا ينبغي أن يعتقد المسلم، وهكذا كان يعتقد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فلم يكن رمضان بالنسبة لهم مجرد شهر من الشهور، بل كان له في قلوبهم مكانة خاصة ظهرت واضحة من خلال استعدادهم له واحتفائهم به ودعائهم وتضرعهم إلى الله تعالى أن يبلغهم إياه لما يعلمون من فضيلته وعظم منزلته عند الله عز وجل.

اسمع إلى معلى بن الفضل وهو يقول: كانوا "يعني الصحابة" يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم. وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، اللهم سلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا.

والتوبة في هذا الشهر الكريم لازمة واجبة، وهي واجبة في كل وقت ومن كل ذنب، ولكنها في هذا الحين ألزم وأوجب لأننا مقبلون على موسم طاعة، وصاحب المعصية لا يوفق للطاعة ولا يؤهل للقرب، فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان، وإن قيد الذنوب يمنع عن المشي إلى طاعة الرحمن، وإن ثقل الذنوب يمنع الخفة للخيرات والمسارعة في الطاعات فتجد القلب في ظلمة وقسوة وبُعد عن الله وجفوة، فكيف يوفق مثل هذا للطاعة؟

أو كيف يصلح للخدمة؟

أو كيف يدعى للمناجاة وهو متلطخ بالأقذار والنجاسات؟

فصاحب المعاصي المصرّ عليها لا يوفق إلى الطاعة فإن اتفق فبكد لا حلاوة فيه ولا لذة ولا صفوة ولا أنس ولا بهجة، وإنما بمعاناة وشدة، كل هذا بسبب شؤم الذنوب.

قال سفيان الثوري: حرمت قيام الليل سنة بذنب عملته، وعندما قيل للحسن لا نستطيع قيام الليل، قال قيدتك خطاياكم. وقال الفضيل: "إذا كنتَ لا تستطيع قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محبوس قد قيدتك ذنوبك".

فلابد من التوبة النصوح المستلزمة لشروطها، المصحوبة برد الحقوق إلى أهلها، والمصاحبة للافتقار وإظهار الفاقة والحاجة إلى العزيز الغفار، ولابد من إظهار الرغبة بحسن الدعاء ودوام الاستغفار وكثرة الإلحاح والتضرع إلى الله بالقبول وأن يجعلك ممن تقبل توبتهم قبل رمضان وأن يكتبك في آخره في ديوان العتقاء من النار.

عن زاذان قال: «كنتُ غلاما حسن الصوت، جيّد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أغنّيهم، فمر عبد الله بن مسعود، فدخل فضرب البساط وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن، كنت أنت أنت! ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا عبد الله بن مسعود، فألقى الله في نفسي التوبة، فسعيت أبكي وأخذتُ بثوبه، فأقبل عليّ فاعتنقني وبكى، وقال لي: مرحبا بمن أحبه الله، اجلس. ثم دخل وأخرج لي تمراً".

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

موعظة للصائمين

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "يا من ضيَّع عمره في غير الطاعة، يا من فرَّط في شهره بل في دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن و شهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

ويـل لمـن شفعـاؤه خصمـــاؤه
والصـور في يـوم القيامـــة ينفخ

رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر، كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بعدا، وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا مقتا وردا.

يا قوم! أين آثار الصيام؟ أين أنوار القيام؟

هذا -عباد الله- شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع.

قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع، و تراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر و لا تسمع.

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار؟ أفما لنا فيهم أسوة؟!

يا نفس فـاز الصالحـون بالــتقى
وأبصروا الحق و قلبي قد عـمي
يا حسـنهـم والليل قـد جنّهــم
ونورهـم يفـوق نـور الأنـجـم
تـرنَّـموا بالـذكـر في ليلهــم
فعيـشهـم قـد طـاب بالتـرنُّم
قـلوبهـم للذكـر قـد تفـرَّغـت
دمـــوعـهـم كـلـؤلـؤ منتَظم
أسحـارهم بهـم لهم قـد أشرقت
وخـلـع الغفــران خـير القسم
ويـحـك يا نفــــس ألا تيقـــظ
ينـفــع قـبل أن تـزل قدمـــي
مضــى الزمان في توان وهــوى
فاستدركي ما قد بقـي واغتـنمي"

(لطائف المعارف).

الصدق مع الله في السرّ علامة كمال الإيمان

"لا تكن وليا لله في العلانية عدوا له في السر"

العبد مأمور بصون نفسه في حالتي السرّ والعلانية، وإن كان صونها في حالة الخفاء هو أصل الأمر، لما لذلك من الشأن العظيم.

قال ابن رجب رحمه الله: "**وفي الجملة فتقوى الله في السرّ هو علامة كمال الإيمان**" جامع العلوم والحكم.

فصلاح سر الإنسان هو **ميزان إيمانه ومعيار استقامته** حتى أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على صفاء حالة الخلوة أكثر من حالة الجلوة، فها هو الإمام ابن سيرين رحمه الله كان: "يضحك بين الناس وإذا خلى بالليل فكأنه قتل أهل قرية".

فالخلوات الخلوات فإن أكثر الناس "في خلوته على غير حالته في جلوته" كما قال الإمام ابن الجوزي.

أخرج الإمام ابن ماجة في سننه بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأعلمنَّ أقواما يوم القيامة يأتون بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء يجعلها الله هباءا منثورا".. ثم قال لأصحابه: "وهم منكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، **ولكنهم إذا خلو بمحارم الله انتهكوها**".

وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: "ليتق أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله، فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين".

وقال سليمان التيمي رحمه الله: "إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته".

وقال وهب بن الورد رحمه الله: "إن الذنب في الخفاء له عاقبته في السر".

فعلى العبد أن يتقي ربه في حالتي الجهر والسر وأن يحذر من مغبة ذلك.

قال بلال بن سعد رحمه الله: "**لا تكن وليا لله في العلانية عدوا له في السر**".

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "والحذر الحذر من الذنوب، **خصوصا ذنوب الخلوات** فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه" صيد الخاطر.

فالواجب إذا أن ينهض العبد إلى إصلاح حالة سره خصوصا وإصلاح أمره عموما، **فمن أصلح حال سره أحسن الله له حال علانيته**.

قال ابن عون رحمه الله: "كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات:

- إذا اشتغلت بآخرتك كفاك الله دنياك.
- **وإذا أحسنت سرك أحسن الله علانيتك.**
- وإذا أصلحت ما بينك وبين الله أصلح الله ما بينك وما بين الناس".

وقال سليمان التيمي رحمه الله: "**من أحسن لله سريرته فاح عبير مسكه في علانيته**".

لذلك حمل جمع من السلف رفعة وعلو مكانة الأئمة الأعلام بين الناس على إحسانهم في حالة سرهم فأعلى الله شأنهم وقدرهم.

قال ابن المبارك رحمه الله: "إن الله عز وجل قد رفع مالك بن أنس وليس عنده كثير صلاة ولا صيام، **وأرى ذلك أنه أصلح سره مع الله فرفع الله علانيته وقدره**".

وقد ذكر عند الإمام أحمد فضل الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله فقال: "**قد رفع الله ذكره وأحسب أنه لخبيئته في السر**".

فما أحوجنا إلى إصلاح السر وإحسان الخلوة، وقد ذكر أهل العلم جملة من الأسباب لتحقق ذلك إن شاء الله تعالى منها:

1- **الخلوة الإيمانية الأثرية** بحيث يخلو الإنسان في المسجد أو في بيته يتلو كتاب الله ويذكر الله ويدعوه ويتضرع إليه وفق السنة، ففي هذا فضل عظيم كما في الحديث الصحيح حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم: "..**رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**".

قال مسروق رحمه الله: "**لا بدَّ للعبد من مجالس الخلوة مع نفسه**".

2- **الحياء من الله واستحضار مراقبته.**

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند جيد أن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "..**أن تستحي الله كما تستحي عبدا صالحا من قومك**".

قال ابن السماك رحمه الله:

يا مدمنا على الذنب أما تستحي
والله في الخلـوة ثانيـــك
غـرك مـن ربك إمهـــاله
وسـتره طـول مسـاويك

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

إذا مـا خلـوت الـدهر يومـا فلا
تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

3- **الدعاء** فإنه من أنفع الأدوية، فيدعو العبد ربه جل وعلا بصلاح سره وعلانيته ويطلب المغفرة من ذنوب خلوته وجلوته.

ففي الحديث الذي جود إسناده بعض أهل العلم كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: "وأصلح غيبي ومشهدي".

ومن الأدعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أعلنت **وما أسررت**، وما أنت أعلم به مني..".

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

آية وتفسير

قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (البقرة).

"رَمَضَان" مأخوذ من رمض الصائم يرمض: إذا احترق جوفه من شدة العطش، والرمضاء ممدود: شدّة الحرّ، ومنه الحديث الثابت في الصحيح: "صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال" أي: أحرقت الرمضاء أجوافها.

قال الجوهري..: يقال: إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام الحرّ، فسمي بذلك. وقيل: إنما سمي رمضان؛ لأنه يرمض الذنوب، أي: يحرقها بالأعمال الصالحة.

قوله تعالى: "أُنزِلَ فِيهِ القرآن"، قيل: أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم كان جبريل ينزل به نجماً نجماً، وقيل: أنزل فيه أوّله، وقيل: أنزل في شأنه القرآن، وهذه الآية أعم من قوله تعالى: "إِنَّا أنزلناه فِي لَيْلَةِ القدر" (القدر)، وقوله: "إِنَّا أنزلناه فِي لَيْلَةٍ مباركة" (الدخان) يعني: ليلة القدر. والقرآن اسم لكلام الله تعالى، وهو بمعنى المقروء كالمشروب سمي شراباً، والمكتوب سمي كتاباً.

وقوله: "وبينات مِّنَ الهدى" من عطف الخاص على العام، إظهاراً لشرف المعطوف بإفراده بالذكر؛ لأن القرآن يشمل محكمه، ومتشابهه، والبينات تختص بالحكم منه، والفرقان: ما فرق بين الحق، والباطل: أي: فصل.

قوله تعالى: "مَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ" أي: حضر، ولم يكن في سفر بل كان مقيما، والشهر منتصب على انه ظرف، ولا يصح أن يكون مفعولاً به. قال جماعة من السلف، والخلف: إن من أدركه شهر رمضان مقيماً غير مسافر لزمه صيامه، سافر بعد ذلك، أو أقام استدلالاً بهذه الآية. وقال الجمهور: إنه إذا سافر أفطر، لأن معنى الآية: إن حضر الشهر من أوّله إلى آخره لا إذا حضر بعضه، وسافر، فإنه لا يتحتم عليه إلا صوم ما حضره، وهذا هو الحق، وعليه دلت الأدلة الصحيحة من السنة، قد كان يخرج صلى الله عليه وسلم في رمضان، فيفطر.

وقوله تعالى: "يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر" فيه أن هذا مقصد من مقاصد الربّ سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين، ومثله قوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ" (الحج) وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرشد إلى التيسير، وينهى عن التعسير كقوله صلى الله عليه وسلم: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا" وهو في الصحيح. واليسر السهل الذي لا عسر فيه.

وقوله: {وَلِتُكْمِلُواْ العدة} الظاهر أنه معطوف على قوله: "يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر"، أي: يريد بكم اليسر، ويريد إكمالكم للعدّة، وتكبيركم، وقيل: إنه متعلق بمحذوف تقديره: رخص لكم هذه الرخصة لتكملوا العدة، وشرع لكم الصوم لمن شهد الشهر لتكملوا العدة.

.. وقد ثبت، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه" وثبت عنه أنه قال: "من قام رمضان إيماناً، واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه". (انظر فتح القدير).

من فوائد الآية الكريمة:

1- فضل شهر رمضان وفضل القرآن .

2- وجوب صيام رمضان على المكلفين، والمكلف هو المسلم العاقل البالغ مع سلامة المرأة من دمي الحيض والنفاس .

3- الرخصة للمريض الذي يخاف تأخر برئه أو زيادة مرضه، والمسافر مسافة قصر.

4- وجوب القضاء على من أفطر لعذر .

5- يسر الشريعة الإسلامية وخلوها من العسر والحرج.

6- مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه وهذا التكبير جزء لشكر نعمة الهداية إلى الإسلام.

7- الطاعات هي الشكر فمن لم يطع الله ورسوله لم يكن شاكراً فيعد مع الشاكرين .(أيسر التفاسير)

رمضان شهر التوبة والمغفرة.. فاحذروا قطاع الطرق!

يهل شهر رمضان المبارك على أمة الإسلام في كل مكان، وتهلُّ معه نفحات الأجر والمثوبة لمن يلتمس فرص الخير، استجابة لداعي الله، حيث يقبل باغي الخير، ويقصر باغي الشر. هذا الشهر العظيم الذي كان يبشّر بمجيئه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه: "إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب، وصفدت الشياطين، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة". رواه الترمذي.

وفيما يتأهب الكون لولوج هذا العالم الروحاني الرحب في مدارات الرحمة والبركة والمغفرة والأمن والأمان، يتأهب ما تبقى من شياطين الإنس في التحضيرات السنوية الهائلة من عام إلى عام لصرف القلوب إلى القنوات والفضائيات والجرائد والمجلات الماجنة.

وما يكاد يقترب شعبان حتى تنفرد وسائل الإعلام في مهمات التبشير بالأعمال الإعلامية الجديدة، تلك التي توصف بأنها أعمال رمضانية، وهو وصف لا علاقة له بعبادة رمضان وطاعة الله فيه.

وتتوسع هذه الوسائل في إفراد مساحات واسعة من برامجها لعرض تفاصيل مهازل اللهو والعبث تحت مسميات عدة: "سكيتشات هزلية"، "كاميرة خفية"، "فوازير رمضانية"، "سهرات فنية" "مسلسلات"، "مسابقات"، أما الفنادق والمقاهي فبمجرد حلول الشهر الكريم تتحول لياليها إلى مرتع للخنى والفجور..

فما الذي يريده أصحاب هذه البرامج والاجتماعات الموبوءة بالعهر والتثني، والرقص والتغني؟

وما الفائدة من عرض قصص الحب والغزل في شهر رمضان الكريم؟

ولم تعرض البرامج التراثيَّة خلال الشهر بالصورة التي تشوِّه المجاهدين الأقدمين والعلماء الأسبقين والعباد والناسكين؟

إن المرء لا يفهم من ذلك إلاَّ ما أخبرنا عنه ربّ العزة والجلال حين قال: "وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيما".

قال صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه"، وقال: "من قام رمضان إيماناً واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه". متفق عليه.

قال ذلك عليه الصلاة والسلام ليبين مجال السباق الرمضاني في مسارات الصيام والقيام، وقيام ليلة القدر، والثمن مغفرة تجعله في حل مما أذنب فيما سبق من حياته!! فأي سباق هذا؟ وأي جوائز رمضانية عامة لا يحرم منها أحد ممن وفق للعمل وأخلص؟

سباق جائزته لا هموم معها ولا غموم، ولا ضيق بعدها ولا شقاء، فكم من حسير فقد برحيل الشهر نعمة إصلاح العلاقة مع الله في أعظم مواسم التوبة والعفو والمغفرة، أولئك الذين ذهبت أوقاتهم نهبًا بين لصوص رمضان المحترفين المجندين للتضليل والتضييع، المتخصصين في أعمال السطو الموسمية، المبدعين في تمرير أيام الشهر على جناح الغفلة، المتمكنين من استلاب الناس وسرقة روحانية الشهر الكريم، وفرص الأجر بين الذكر وقراءة القرآن والاعتكاف، وسائر العبادات فروضها ونوافلها، المجتهدين في فتح أبواب الوزر ليلج الضعفاء السائرون المستدرجون لولوجها بالشهوات.

إنه من المعلوم أن مواسم الخير يضاعف فيها الأجر وكذا الوزر، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي وقع على امرأته نهار رمضان بأعظم الكفارات، وهي كفارة القتل خطأ والظهار: عتق رقبة، فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وغلظ الكفارة من غلظ الذنب، وقد استوجبها لما واقع حليلته (زوجته) في نهار رمضان، في الوقت المحرم، فالذنب في رمضان ليس كغيره، وإذا كان هذا التشديد والوعيد والعقوبة في حق من انتهك الشهر مع حليلته، فكيف بمن ينتهكه مع خليلته أو حليلة جاره أو بغي؟

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

إبطال قصة التحكيم الشهيرة بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

سليمان بن صالح الخراشي

قصة تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص في الخلاف الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عن الجميع مشهورة ذائعة في كتب الأخباريين وأهل الأدب، وفيها ما فيها من لمز الصحابة رضي الله عنهم بما ليس من أخلاقهم. وقد فند هذه القصة الباطلة: ابن العربي في العواصم، والدكتور يحيى اليحيى في "مرويات أبي مخنف". وقد وجدتُ الشيخ محمد العربي التباني قد أجاد في إبطالها في رده على الخضري المؤرخ؛ فأحببتُ نشر رده باختصار ليطلع عليه القراء، وينتشر بينهم؛ لاسيما وهو في كتاب شبه مفقود.

قال الشيخ التباني:

لا صحة لما اشتهر في التاريخ من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى في قضية التحكيم:

قال أي الخضري في (ص:72): "فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشَعثها من أمرٍ قد أجمع عليه رأيي ورأي عمرو، وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر؛ فيولّوا منهم من أحبوا عليهم، وأني قد خلعت علياً ومعاويةً فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية، فإنه وليُّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه، فتنابزا. ويروي المسعودي أنهما لم يحصل منهما خطبة، وإنما كتبا صحيفة فيها خلع علي ومعاوية وأن المسلمين يولون عليهم من أحبوا، وهذا القول أقرب في نظرنا إلى المعقول وإن لهج كثير من المؤرخين بذكر الأول" اهـ.

أقول: هذه الأسطورة الموضوعة في خديعة عمرو لأبي موسى في التحكيم شبيهة بالأسطورة الموضوعة على علي وابن عباس والمغيرة بن شعبة في إشارة هذا على أمير المؤمنين بإبقاء عمال عثمان، فإن المقصود من وضعها الطعن في حيدرة -أي علي- ببعده عن الدهاء والسياسة وتبريز المغيرة وابن عباس فيهما عليه، وقد تقدم إبطالها، والمقصود من هذه إظهار بلاهة حكمه وتبريز حكم معاوية عليه فيهما.

فهذه الأسطورة باطلة بثمانية أوجه.

الأول: رواها أبو مخنف المتفق أئمة الرواية على أنه أخباري هالك ليس بثقة.

الثاني: الطعن في أبي موسى بأنه مغفل طعنٌ في النبي صلى الله عليه وسلم، الذي ولاه على تهائم اليمن زبيد وعدن وغيرهما وهو مغفل.

الثالث: الطعنُ فيه بما ذكر طعنٌ في الفاروق الذي ولاه أميرا على البصرة وقائدا على جيشها فافتتح الأهواز وأصبهان، وكتب في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين وهو مغفل، فأقره عثمان عليها قليلاً ثم عزله عنها فانتقل إلى الكوفة وسكنها وتفقه به أهلها كما تفقه به أهل البصرة وقرأوا عليه. ثم ولاه عثمان على الكوفة بطلب أهلها ذلك لما طردوا عاملهم سعيد بن العاص. قال الشعبي: انتهى العلم إلى ستة فذكره فيهم، وقال ابن المديني: قضاة الأمة أربعة عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت، وقال الحسن البصري فيه: ما أتاها يعني البصرة راكب خير لأهلها منه، فهؤلاء الوضاعون الكائدون للإسلام ورجاله مغفلون لا يحسنون وضع الأباطيل؛ لأنهم يأتون فيها بما يظهر بطلانها في بادئ الفهم الصحيح لكل مسلم.

الرابع: ذكر ابن جرير في فاتحة هذه الأسطورة أن عمرواً قال لأبي موسى ألست تعلم أن معاوية وآله أولياء عثمان؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال: "وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً" وكلاماً كثيراً بعده في استحقاق معاوية للخلافة، فأجابه أبو موسى عن جلّه جواباً شافياً ولم يجبه عن احتجاجه بالآية، وكأنه سلمه، والاحتجاج بها على خلافة معاوية فاسد من أوجه كثيرة لا حاجة لذكرها كلها؛ منها أنه تعالى قال: "فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً" فأي إسراف ونصر حصلا له في جيش أمير المؤمنين وقد قتل من جيشه الطالب بدم عثمان البريء منه خمسة وأربعون ألفاً على أقل تقدير، ومن جيش حيدرة خمسة وعشرون ألفاً؟ وأي إسراف ونصر حصلا له وقد أشرف على الهزيمة الكبرى ولولا المصاحف لهلك جل جيشه؟ وجهل فادح ممن يحتج بها على ذلك، فمحال صدوره من عمرو وهو من علماء الصحابة ومحال تسليمه ولو صدر منه من أبي موسى الأعلم منه.

الخامس: ما نقصت هذه الخديعة لو صحت مما كان لأمير المؤمنين عند أتباعه شيئاً، وما أفادت معاوية شيئاً جديداً زائداً عما كان له حتى يصح أن يقال فيها إن فلاناً داهية كاد أمة من المسلمين بكيد مقدمها ومحكمها، وغاية أمرها أنها أشبه بعبث الأطفال لا تتجاوز العابث والمعبوث به، وبرّأ الله تعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا العبث.

السادس: لو صحت هذه الأسطورة لم يلزم منها غفلة أبي موسى ودهاء عمرو، بل تدلّ على مدح أبي موسى بالصدق والوفاء بالوعد والعهد وهي من صفات الأخيار من بني آدم فضلاً عن المؤمنين فضلاً عن الصحابة، ووصم عمرو بالخيانة والكذب والغدر وهي من صفات الأشرار من بني آدم، وكان العرب في جاهليتهم ينفرون منها أشد النفور ولا قيمة لمن اتصف بواحدة منها عندهم، وقد ذم ورهب دين الإسلام مرتكبيها، وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه، وينادى على رؤوس الخلائق هذه غدرة فلان".

السابع: لا يخلو قول عمرو فيما زعموا عليه (وأثبت صاحبي معاوية) من أمرين: الأول ثبته في الخلافة كما كان أولاً، وهذا هو المتبادر من لفظ التثبيت، وهو باطل قطعاً؛ فإنه لم يقل أحد ينتسب إلى الإسلام إن معاوية كان خليفة قبل التحكيم حتى يثبته حكَمه فيها بعده، ولم يدعها هو لا قبله ولا بعده، ولم ينازع حيدرة فيها.

الثاني ثبته على إمارة الشام كما كان قبل، وهذا هو المتعين دراية وإن لم يصح رواية، وهو تحصيل الحاصل، وأي دهاء امتاز به على أبي موسى في تحصيل الحاصل؟ وأي تغفيل يوصم به أبو موسى مع هذا العبث؟ فهل زاد به معاوية شيئاً جديداً لم يكن له من قبل؟ وهل نقص به علي عما كان له قبل؟

الثامن: قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في العواصم من القواصم: "قد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على تسطيرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين، ثم قال: وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أن أبا موسى كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعضُ الجهال بعضاً وصنفوا فيه حكايات، وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى، وإنما بنوا ذلك على أن عمرواً لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والمكر، ثم ذكر الأسطورة باختصار ثم قال: هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك؛ فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع.. ثم ذكر أن الذي رواه الأئمة الثقات الأثبات كخليفة بن خياط والدارقطني أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر عزل عمرو معاوية" اهـ ملخصاً.

تحذير العبقري من محاضرات الخضري، (2/86-91).

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

لماذا اخترنا الملف؟

لما أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين للعالمين فقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"، "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"، "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"، وهكذا انطلق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وبلَّغ الكفار خارج جزيرة العرب بدين الله وأرسل الرسائل إلى كسرى وقيصر، وأرسل أصحابه إلى النجاشي في الحبشة، وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام انطلق الصحابة للدعوة لهذا الدين، ففتحت فارس والروم ومصر والمغرب، ووصلت فتوحات المسلمين في عهد الصحابة إلى أذربيجان وأرمينيا، وانطلق المدّ الإسلامي وتغيرت دول ومجتمعات كثيرة.

لقد رأى غير المسلمين آنذاك من العدل والرحمة في دين الإسلام ما جعلهم يدخلون فيه أفواجاً، ومضى الزمن على هذا الأمر فترة طويلة حتى دبّ الضعف في الأمة وتراجعت، وبدأ غيرها يغزوها بعد أن كانت هي تفتح غيرها.

المسلمون لما فتحوا الأمصار ودخلوها وهم الفاتحون وعمروها بالإسلام ورتبوا الأئمة والقضاة والدعاة وغير ذلك، وجدوا عند الذين فتحوا بلادهم مسائل كثيرة مفيدة، فأخذوا كل شيء مفيد في الاقتصاد في العمران في البنيان في الإدارة في أمور الزراعة، حتى استفادوا مما عندهم من أساليب الحرب للجهاد في سبيل الله، فقد استخدم النبي صلى الله عليه والسلام المنجنيق في حصار الطائف، هذه كانت استفادة وانفتاحا على ما عند الآخرين من علم ومعرفة.

لكن لننظر في المقابل ماذا فعل نصارى إسبانيا والمغول الوثنيون حين غزوا بلاد المسلمين:

لما دخل الصليبيون قرطبة طردوا أهلها وأحرقوا الكتب ودمروا المكتبات الإسلامية، حتى قال أحد المستشرقين الإسبان: "إن الإسبان عندما استولوا على قرطبة أحرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة كتب، تحوي أكثر من مليون وخمسين ألف مجلد"، أما المغول الوثنيون فحين دخلوا بغداد ألقوا الكتب في نهر دجلة وتحولت مياه النهر إلى سواد من الحبر ثلاثة أيام متوالية.

والآن التاريخ يعيد نفسه، لما دخل الصليبيون بغداد أعادوا الكرة نفسها فأحرقوا مخطوطات لعلماء مسلمين في مكتبات بغداد.

المسلم الحق لا مشكلة لديه في معرفة الآخر والانفتاح عليه؛ لهدايته إلى الحق أولاً، والاستفادة مما لديه من تقدم علمي ودنيوي، ولكن المروجون لهذا المصطلح يريدون بالانفتاح شيئاً آخر، هو الصدّ عن التمسك بدين الله وقبول ضلالات الآخرين تحت مسمى الانفتاح والتحذير من الانغلاق والتقوقع.

لم يعد الغرب الآن يحتاج إلى بذل كثير من الجهد والعناء، ما عادوا يعتمدون على أن نرسل إليهم أولادنا كي يسمموا أفكارهم ويعيدوهم إلينا وقد دجّنوا وتنكروا لدينهم وهويتهم وأمتهم، ما عادوا يعتمدون أساسا على جهود المنصّرين الذين يجوبون بلاد العالم الإسلامي، ما عادوا يحتاجون كثيراً إلى سياسة الدس والإخفاء لتحقيق مبتغاهم داخل ديار المسلمين، لقد صار لديهم كافة الوسائل لتحقيق ذلك بأقل جهد وأبخس تكلفة.

إننا وللأسف الشديد أخذنا الجانب السلبي لمعنى الانفتاح، قلدنا الغرب في العري واتباع آخر صيحات الموضة، وقبلنا دخول أنماط استهلاكية جديدة عبر الغزو الاقتصادي وحرية التجارة وثورة الاتصالات وانتشارها..

إن مصطلح الانفتاح من المصطلحات المطاطة التي يعتريها الغموض والضبابية، وهذا الغموض أدى إلى استعمال هذا المصطلح من اتجاهات متعددة لا تتفق عقائديا وفكرياً مع كثير من قضايانا.

من هذا المنطلق ارتأت جريدة السبيل فتح ملف في الموضوع بغية إلقاء الضوء على بعض جوانبه.

والله الموفق لسواء السبيل.

حقيقة مصطلح "الانفتاح"

جمع الملف وأعده: نبيل غزال

يلاحظ في هذا المصطلح الغموض والضبابية، فالانفتاح اسم عام يطلق على أنواع متعددة يصدق عليها هذا الاسم مع كونها مختلفة في الموضوع، وهذا الغموض أدى إلى استعمال هذا المصطلح من اتجاهات متعددة لا تتفق فكرياً في كثير من القضايا.

مصطلح "الانفتاح" لم يرد في القرآن ولا في السنة، ولم يستعمله العلماء الراسخون في العلم، بل هو مصطلح تداولته الكتب العصرية والنشرات الصحفية دون تحديد دقيق لمعناه. ويتضمن معان غير صحيحة، وله إيحاءات ودلالات باطلة، يتبين ذلك من خلال ما يلي:

1- جذور المصطلح

جذور هذا المصطلح تعود إلى الفكر الغربي، فأصل مادة (فتح) في اللغة الإنجليزية هي (Open) وهي تأتي لأكثر من عشرين معنى بحسب تصريفاتها المتعددة، ومن المعاني الداخلة في مجال البحث ما يلي:

- منفتح، راغب في الاستماع لكل ما يعرض عليه، وفي تفهمه بروح سمحة.
- ينور العقل ويجعله منفتحاً للمعرفة.
- يصبح العقل متنوراً أو منفتحاً.
- يعبر عن أفكاره ومشاعره.

ومن المعاني الاصطلاحية للمادة (Open door) أي (الباب المفتوح) وهي: "سياسة قوامها حرية التجارة وإلغاء التعريفات الجمركية والسماح لمختلف الدول بالمتاجرة مع بلد ما، على قدم المساواة"، و(Opening) معناه (تفتح)، و(Minded-open) أي: منفتح العقل أو ذو عقل، وتأتي بمعنى: "منفتح للحجج والأفكار الجديدة" (انظر المورد للبعلبكي مادة "open").

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن هذا المصطلح مأخوذ من بيئة معينة لها ظروفها العقدية وصراعاتها الفكرية، والظاهر أن هذا المصطلح جاء بسبب الصراع بين الكنيسة والعلم عندما ظهرت الأفكار العلمية الجديدة ورفضها من قبل رجال الدين النصارى، ولذا اعتُبِرَ الفكر الكنسي فكرا منغلقا، والفكر اللاديني الملحد منفتحا لاعتماده الكلي على العقل.

2- غموض المصطلح

يلاحظ في هذا المصطلح الغموض والضبابية، فالانفتاح اسم عام يطلق على أنواع متعددة يصدق عليها هذا الاسم مع كونها مختلفة في الموضوع، وهذا الغموض أدى إلى استعمال هذا المصطلح من اتجاهات متعددة لا تتفق فكرياً في كثير من القضايا.

فنجد من يستعمل الانفتاح الفكري ليصل إلى الإلحاد ويصف الدين بأنه انغلاق وتحجير على العقل، كما نجد من ينتقد الانفتاح بالصورة السابقة ويطلقه على الاستفادة من كل الثقافات بما لا يناقض الإسلام، ثم يختلف أصحاب هذا الاتجاه في تحديد ما يناقض الإسلام وما لا يناقضه!! وفي حدود الاستفادة وضوابطها.

ولهذا لابد من تحديد نوع الانفتاح المعين بذكر خصائصه، ثم الحكم عليه بالصواب أو الخطأ بميزان الكتاب والسنة، بميزان هويتنا الإسلامية، وهذا الغموض يدلُّ على أنّ استعمال هذا المصطلح دون ضبط خطأ منهجي، لأنه لا يكفي مجرد اسمه في تحديد المراد منه.

ولا بأس أن نشبه هذا المصطلح بمصطلحات علم الكلام التي قد يراد بها حق وقد يراد بها باطل، هذه المصطلحات التي حذر علماء أهل السنة من قبولها مطلقاً لاشتمالها على الباطل، كما حذروا من إنكارها وردها جملة لأنها قد يراد بها معنى صحيحاً، فيكون رداً لشيء من الحق، ومثل هذا النوع من الكلام المحتمل لا يصح استعماله لأن فيه لبس للحق بالباطل، وعلماء أهل السنة والجماعة لم ينكروا المصطلحات لأنها مصطلحات جديدة كما يظن بعضهم، بل لكونها تشتمل على معانٍ باطلة مناقضة للقرآن والسنة.

3- الإيحاءات السلبية للمصطلح

هذا المصطلح يحمل إيحاء انهزامياً سلبياً في تصور الشريعة الإسلامية، فالانفتاح: مصدر الفعل الخماسي المزيد: انفتح، وكل فعل جاء على وزن "انفعل" فمصدره على وزن "انفعال"، وزيادة همزة الوصل والنون في أوله ترد لمعنى واحد هو المطاوعة، "انفتح انفتاحاً، وانكسر انكساراً، وانطلق انطلاقاً" (انظر التطبيق الصرفي ص:71، ودروس التصريف ص:76).

ودلالة كلمة (الانفتاح) توحي بوجود انغلاق قبله، ولهذا فمعناها "إزالة الانغلاق" فهو ضده (انظر: الصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط مادة: فتح).

فإذا استعمل هذا المصطلح فإنه يقتضي وجود انغلاق ثم حصل الانفتاح، فمثلاً: من كان على منهج التقليد الأعمى ثم صار إلى الدليل فإنه يستعمل معه هذا المصطلح، أما من كان معتبراً للدليل فلا يليق استعمال هذا المصطلح معه لأنه ليس بمنغلق حتى نطالبه بالانفتاح. ومن يحرم ما أحل الله تعالى من الطيبات كرهبانية الصوفية، يطالب بالانفتاح بمعنى الخروج من انغلاق الرهبانية إلى سعة السنة التي تبيح الطيبات بإباحة الله تعالى لها.

أما من يستعمل هذا المصطلح لمطالبة عموم المسلمين به، أو اعتبار المسلمين الذين يطالبون بالإسلام في الحكم والاقتصاد والاجتماع والثقافة وكل شؤون ومناحي الحياة منغلقون لأنهم لم يتشربوا الفكر الغربي، فهو سوء ظن بالشريعة الإسلامية واتهام لها بالانغلاق، وهو كذلك انهزام أمام الفكر الغربي واعتباره انفتاحاً من الانغلاق، والحقيقة أنه خرج من انغلاق إلى انغلاق آخر.

ومن هنا تظهر الإيحاءات السلبية في استعمال هذا المصطلح فيما يتعلق بالإسلام والدين وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وعلماء المسلمين، وعلى كل حال فالقاعدة الوسطية أننا لا ننفتح على كل شيء ولا ننغلق عن كل شيء.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

عن أي انفتاح يتحدثون؟!
المطالبة بالانفتاح في واقع منفتح على مصراعيه

مفهوم الانفتاح من المفاهيم التي أصبحت دارجة في كل قطر من أقطارنا العربية والإسلامية خاصة في السنوات الخمس الأخيرة، مما دعا الكثير من وسائل الإعلام إلى احتضان هذا المفهوم والإسهاب في تعريفه وتوصيله إلى أذهان الشعوب العربية الإسلامية بوجه الخصوص.

ولعل الكثير منا يتساءل عن سبب الإصرار على دمج هذا المصطلح في مفاهيمنا، وفرضه علينا قسرا؟

استغل هذا المصطلح ضدنا نحن المسلمين استغلالاً خبيثاً، وكأننا من عالم آخر وكوكب غريب، كل من يسكنونه عبارة عن أمة متخلفة متحجرة متقوقعة تعشق الدهاليز المظلمة وتعيش في انحطاط وضياع، أقوام بربرية شرسة لا تفقه شيئاً عن العلم والتعلم، لذلك أتت تلك الدعوات عبر سياسة القنوات الإعلامية التي تتزعمها الدول الغربية الكبيرة بقيادة أبناء العم "سام" وتطالب مشكورة الأمة العربية بالانفتاح عبر قنوات العلمانيين.

الناظر في التاريخ الإسلامي يرى ما لا يراه غيره، فهو يعرف ويعلم أن ديننا الإسلامي منذ 1400 عام كان من أكثر الحضارات انفتاحاً على الشعوب كلها، تلك الحضارات التي مارست الانغلاق على شعوبها وعملت على قطع كل وسيلة من شأنها العمل على تبصير وتنوير تلك الشعوب خوفاً من أن يأتي يوم فتثور عليها وتستأسد.

إذا ما هو الانفتاح الذي نحن مطالبون به؟

هل هو الإذعان والتقليد ومسايرة سلوكيات ومبادئ ومعاملات فرضت علينا فرضاً كي لا نغرد خارج السرب؟

وهل لابد لنا من التسليم لهذا الواقع حتى نسلم من الاتهامات الموجهة إلينا؟

وهنا لنا أن نتابع التساؤل:

لماذا تظل الدول المسلمة تفتح أبوابها وبيوتها بكل ترحيب وكرم حاتمي للكثير من الأفكار والفضائيات الغربية التي عملت على تهديم مبادئنا وتمييع شبابنا والقضاء على ما بقي من غيرتنا؟ بينما نجد الدول الغربية التي تدعي الانفتاح تعمل على اتباع سياسة التعتيم الإعلامي الموجه والمقصود لشعوبها لضمان عدم وصول الحقائق إليها كما هي في الواقع، فالأمريكي يعيش في قمقم لا يدري أين توجد أغلب بلدان العالم بل أغلب الأمريكيين بفعل التعتيم المنهج والانغلاق غير المباشر يظنون أن الفلسطينيين هم من احتل "إسرائيل" وأن طفل الحجارة يهودي والدبابات والصواريخ فلسطينية؟

هل الانفتاح المقصود أن تخلع المرأة المسلمة حجابها وتلبس القصير من الثياب، أو أن نرى شبابنا يعلقون السلاسل والصلبان على رقابهم؟

هل الانفتاح هو تغيير مفرداتنا العربية والانسلاخ من عاداتنا وتقاليدنا؟

هل الانفتاح هو الدعوة إلى حرية الاعتقاد المرادفة لحرية الارتداد التي أصبحت ظاهرة شائعة في المنابر الإعلامية، يقودها مثقفون وفنانون ونجوم معروفون، فلم يعد مشكلا التحدث عن التنصير أو التهويد، أما الجرائد والمجلات العلمانية المغربية فلا يفوتها عدد واحد إلا وتعرض فيه صورا لفتيات شبه عاريات وفي بعض الأحيان عاريات «مجلة نيشان العدد 113-114»، في منظر مخل بالدين والحياء والقيم؟

هل الانفتاح هو الدعوة إلى الشذوذ الجنسي الذي أصبح مسموحا به، دليل ذلك التشجيع المنقطع النظير الذي أصبح يحظى به الشاذ "عبد الله الطايع"، والمتحول جنسيا "نور"؟

هل الانفتاح هو تشجيع السياحة الجنسية، حتى أصبحت مدن كمراكش وأكادير.. قبلة لمفترسي اللحوم البشرية، ومزبلة ومستودعا يقصده آكلوا الجيف الجنسية، فأضحى المغرب يوسم بكونه بلدا مستقبلا للمنحرفين والشواذ من كل حدب وصوب، ويقارن بدول رائدة في السياحة الجنسية كـ"الطايلند"؟

هل الانفتاح هو التخلي عن ثقافة اللباس الإسلامية لتصبح موضة البطن المكشوف و"الطاي باس" والأكتاف العارية هي الموضة السائدة، حتى أن من المغاربة المتمسكين بدينهم من أصبح يتجنب الخروج في أوقات الذروة إلى الطرقات العامة كي يتجنب منظر اللحوم المكشوفة؟

فعن أي انفتاح يتحدثون؟

وهل هناك انفتاح بعد هذا الانفتاح؟

إذا كان هذا هو الانفتاح الذي ينشده العلمانيون، وله يطبلون ويزمرون فمرحباً بالعزلة والعيش في العتمة، أفضل من العيش في النور منسلخين من مبادئ الدّين والقيم والهوية.

الانفتاح الاقتصادي والتبعية للغرب

الاقتصاد هو عصب الحياة وبدونه لا يمكن تحقيق التنمية في أية دولة من الدول.. لذلك فالبقاء يكون للأقوى اقتصادياً، والأقوى اقتصادياً هو من يملك القدرة على التخطيط ويوكل الأمر إلى الأكفاء ويحقق تنوع مصادر الدخل، حتى لا يبقى ضحية مصدر اقتصادي واحد قد يقاطع أو يستبدل أو يرخص أو يستولى عليه.

وفي إطار تسارع ظاهرة العولمة الاقتصادية وانتشار العديد من "الشركات العملاقة والمتعددة الجنسيات" التي أصبحت ميزانياتها تتعدى مئات المليارات من الدولارات، هدفها نشر القيم الاقتصادية الرأسمالية في العالم، كالحرية الاقتصادية، وجعل الأسعار خاضعة للعرض والطلب، وعدم تدخل الحكومات في النشاط الاقتصادي، وفتح الأسواق، وربط اقتصاد الدول النامية بالاقتصاد الغربي، وجعله يسير وفقاً للنموذج الغربي في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، وتحرير أسواق المال والتجارة العالمية وزيادة حجمها، وزيادة الإنتاج والنمو الاقتصادي العالمي، وحل المشكلات الإنسانية المشتركة، ومن ثمة هيمنة الدول الغربية على الاقتصاد العالمي، والتحكم في مركز القرار السياسي العالمي، وفرض السيطرة العسكرية والثقافية على الشعوب.

ولتحقيق هذه الأهداف جند الغرب أدوات عدة كالمنظمات الاقتصادية الدولية، والشركات متعددة الجنسية، وأدوات الاستثمار الأجنبي غير المباشر، والاتحادات الاقتصادية الدولية، والعقوبات الاقتصادية، ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة ومنها شبكة المعلومات الدولية.

عادة الاستهلاك والانفتاح الاقتصادي

يذكر علماء الاقتصاد أن من الأمور التي تحدد طبيعة الاستهلاك مستوى الدخل الفردي والتطور الاقتصادي، ولا شك أن دخول أنماط استهلاكية جديدة عبر الغزو الاقتصادي وحرية التجارة وثورة الاتصالات وانتشارها تحت مسمى الانفتاح الاقتصادي ساعد على الترويج لها وقبولها. ويدخل مع هذه الأنماط ما يناسبها من التسميات والمصطلحات وطريقة التطبيق سواء أكانت في الجانب المعيشي أو في اللبس، فغزت شركات الملابس والمأكولات.. الأجنبية مدننا كشركة "Diesel" و"Etam" و"Mango" و"Mac Donald's" و"Mega mall" ..وغيرها، وكلها تشجع اللباس الغربي العاري.

وللإشارة فإن هذه الدُور التجارية لم تغز المغرب إلا بعدما تم تهيئة سلوكيات المواطنين المغاربة على مستوى ثقافة اللباس والعادة الاستهلاكية بفعل الغزو العسكري والفكري الذي صاحب الاستعمار، وكذا سياسة مسخ الهوية عبر الأفلام والمسلسلات والقنوات الإعلامية عامة.

ونجد هذا واضحا في تغيير مستوى وطرائق التفكير لدى الشباب واستبدال مفاهيم محلية موروثة في الأسماء والتعابير بغيرها غربية لتصبح فيما بعد ثقافة الأجيال القادمة، ولنا أن نتخيل بعد أعوام كيف سيصبح الوضع إذا ما هجمت علينا أصناف أخرى من الشركات المتعددة الجنسيات والأنماط الاستهلاكية التي تؤدي في أضعف أحوالها إلى بقائنا أمة مستهلكة ليس اقتصادياً فحسب بل ثقافياً أيضاً.

وللأسف الشديد فإن العلمانيين الذين أشبعوا أسماعنا بالحديث عن المحافظة على الموروث والذي لا يتجاوز في نظرهم الرقصات الشعبية والأهازيج والفولكلور، والغناء والطقوس التي تعمق الطبقية وتقسيم الناس، ومظاهر التفسخ والخرافة والشعوذة.. هؤلاء وأمثالهم لا تهتز لهم شعرة إذا ما أجلبت جحافل الغرب بخيلها ورجلها لتدك تراثنا الحقيقي في اللغة والأخلاق والقيم وآداب الأكل واللبس، وتجردنا من الفضيلة، بل يتسابقون للتبشير بها.

ثقافة المحاكاة (عقدة النقص)

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن "المغلوب يقلد الغالب" وهذا يصدق تماماً اليوم في ما نشاهده في حياتنا الاقتصادية، فمن المعروف أن اقتصادنا يعد في ذيل القائمة، سواء من حيث مستوى دخل الفرد، أو من حيث الاستقلال الاقتصادي والقدرة التصنيعية واتخاذ القرار اتجاه الدول الغنية، ويظل العامل المشترك هو الوقوع تحت الضغط والسيطرة الاقتصادية للدول الغربية، ونرى هذا واضحاً وجلياً في التدخلات الاقتصادية عبر المنظمات الدولية، والشركات عابرة القارات والنظريات الفجة التي لا تتناسب مع واقعنا.

وأخيراً نخلص إلى أن تأثير الاقتصاد في الثقافة سريع وكبير وهو ما يستدعي رؤية واضحة تعتمد على اعتزاز بالذات واستقلالية في القرار وخطط علمية، وبدونها ستظل ثقافتنا عرضة في مهب الريح.

إذا اعترفنا بهذا الواقع المر يجب أن ندرك أن التعاليم الربانية في الاقتصاد والقناعة والحصانة أمام غزو الشهوات، هي القادرة اليوم على تغيير الإنسان، وهذا التغيير هو السبيل الوحيد لتغيير نمط الاستهلاك المهلك. لكن المبادئ لا تعمل في فراغ، بل علينا أن نوفر الشروط والأدوات لجعلها فاعلة، وهذا يستوجب علينا أولا الاعتراف بسيادة ثقافة الاستهلاك، ثم إيجاد قنوات معينة لتوفير البدائل الفعالة في ظل هذه السيادة. أما التنكر لهذه السيادة والاستغراق في الحلول الحالمة لا يمكن أن يدخل في إطار الإيجابية أبداً.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

الانفتاح الإعلامي
هدم للعقيدة ونسف للأخلاق الكريمة

لم يعد يخفى على أحد الانفلات الأخلاقي الذي تشهده معظم وسائل الإعلام، فالإباحية تُنقل اليوم بشكلها السافر من خلال أفلام وحلقات كاملة تُبث على مدار الساعة ويدور محورها الرئيس حول العلاقات الجنسية التي تجري خارج إطار الزواج، هذا فضلا عن تشجيع الشباب والفتيات على التمرد وخرق الثوابت الإسلامية والأعراف الاجتماعية، كل ذلك يتم عبر السرد المستمر للقصص المثيرة للعواطف والغرائز تحت شعار الانفتاح تجاه الآخر والحرية الفردية!

لَمّا نقرأ أن هناك 8000 نوع من المواد الإباحية المطبوعة في أمريكا وحدها، لما نرى انتشار هذه العقائد الفاسدة في المحطات الفضائية من سحر وكهانة وإباحية وتنصير، ندرك أن الدول الغربية قد قطعت شوطا بعيدا في تطبيع الانحلال بل تقنينه، وذلك بفعل النظام الليبرالي الذي لا يعترف بأي قيمة ولا خلق ويرفع شعار "الغاية تبرر الوسيلة"، هذا في الوقت الذي نجد فيه المسلمين ومنهم المغاربة يعانون آثار تفسخ النظام الاقتصادي الغربي فابتلوا بالتبعية له خصوصا بعد إستراتيجية تشجيع الاستثمارات واستقطاب الراسميل الأجنبي، وما دام الاقتصاد لا يستغني عن الإعلام بوصفه الموجه لذوق المستهلكين أصبح المسلمون ضحايا هذا الوابل من القنوات المضللة ليتابعوا برامجها بدافع حب الاستطلاع، والانفتاح على الآخر.

وقد ساهمت شبكة الانترنت في هذا الانفتاح، وتخيل أن موقعا واحدا فقط من مواقع الإباحية يزوره أربع ملايين وسبعمائة ألف شخص أسبوعيا، هذا موقع واحد فقط، وأنه حُمِّل من موقع واحد من مواقع الأغنية العربية أكثر من خمسمائة وخمس آلاف (505.000) أغنية.

إذا كان جهاز استقبال القنوات الفضائية يستقبل ألف قناة، فكل قناة تبث عشر ساعات فقط -على أضعف تقدير- يعني أن هناك 10.000 بث للأغاني والمشاهد الخليعة مسلطة على رؤوسنا ورؤوس أبنائنا وفتياتنا داخل البيوت.

ثبت من خلال تقريرين نشر جزء منها على شكل وثيقة سرية، أن أمريكا بعد أن فشلت في تقديم نفسها من خلال قناة "الحرة" وإذاعة "سوا" قامت بدعم قنوات عربية لها قبول، لكي تسعى لتحسين صورة أمريكا والإساءة إلى الإسلام من خلال البرامج التي تقدمها، وهذه القنوات هي مجموعة "mbc" مع إذاعتها وقناة العربية، وسجلت المجموعة وحسب التقرير الأخير سبقاً في الانفتاح على الغرب، ونشر الثقافة ومبادئ الحياة اللانمطية؟

فعلى مستوى "الأديان" سجلت المجموعة عدلا في التعامل مع الديانات المختلفة والمذاهب (ما عدا الإذاعة).

أما قنوات الإباحية والخنا والفجور فقد عمَّت بها البلوى وصارت تشغَل أكبر حيز في القنوات الإعلامية، فلما أجريت مثلا دراسة على خمسمائة فلم طويل، وجد أن اثنان وسبعين بالمائة 72% منها تدور على الجريمة والجنس والعنف، يعني أن هذه الأمور الثلاثة "الجنس، والجريمة، والعنف" لا يمكن أن يخلو منها مسلسل أو "فِلم".

لقد بات الانفتاح الإعلامي يشكل خطرا واضحا على أمتنا ويمكن إبراز تجليات هذا الخطر في النقاط التالية.

الانفتاح الإعلامي والتسطيح الفكري

وذلك من خلال الكم الهائل السخيف الذي يقدم من برامج منوعة ليس لها من ذوق أو طعم فكري أو ثقافي، إنما همها هو إشغال عقول الناس بسفاسف الأمور، وذلك من خلال تخصيص فترة الذروة للبث في تقديم سخافات إعلامية لا تبني فكرا جادا بل تسعى إلى تعميم السخافة في قالب فكاهي فيه من تسطيح عقلية المشاهد وكأن أهم ما يقدم هو الضحك أو السخف في زمن نحن بحاجة إلى أن نركز على قضايا الأمة المصيرية ونناقشها بكل جدية في هذا الواقع المؤلم.

فلم تعد الفضائيات تهتم بهوية الأمة العربية والإسلامية، إذ أصبحت تقلد الغرب وما يسير عليه، ويتجلى ذلك عيانا في الكليبات والأفلام الهابطة التي نراها صباح مساء، والجانب الآخر هو ضياع الهوية العربية لدى الشباب العربي، ويبدو هذا جلياً من خلال رسائل "SMS" والاتصالات الهاتفية على البرامج المفتوحة.

ونستطيع القول أن غياب الأخلاق والقيم الدينية لدى بعض المسؤولين والقائمين على هذه القنوات، وكذا ضعف الوازع الديني وعدم الانضباط بالضوابط الشرعية في العمل الإعلامي أنتج هذه الظواهر السيئة المخزية.

الانفتاح الإعلامي وإلباس الحق بالباطل

وذلك بتزيين الباطل في أعين الناس حتى يصير حقا مشروعا، وحقيقته أن الشرع قد حرمه وبيَّن حرمته، فمن ذلك أن الفن رسالة وأنه عمل مشروع ورسالة تستحق التقدير، ولذا الفنان يستحق أن نجعله من وجهاء المجتمع ومن شاماته التي تقتدى، فأصبح المغني يتكلم في معضلات الأمة كاحتلال فلسطين والقدس بينما العالِم يتجاهل ويهمش.

كما يسعى الإعلام إلى تمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية التي لا مجال للمساس بها، حتى بلغ الأمر أن يعتبر بعض مقدمي البرامج وممثلو القنوات الفضائية الرقص والخلاعة والتمثيل والغناء عملا لا يؤاخذ الله عليه، حيث يندرج عندهم تحت الكسب من خلال العمل الشريف، فنجد أحدهم يقول عن نفسه إنه رجل ملتزم بأوامر الله، أما ما قدمه من أفعال محرمة في مسلسله هذا وفيلمه ذاك فيكون بحجة الفن!!

وعلى سبيل المثال يستبدلون اسم الخمر بالمشروبات الروحية، والربا بالعائد الاستثماري، والعري بالموضة والفن، حتى أصبح للعري أربع مواسم في السنة، وأصبحت قلة الأدب والانحلال تسمى تفتحا، ونشوز المرأة عن طاعة زوجها حرية شخصية، أما إذا تحللت المرأة وتفسخت وتهتكت بكشف مفاتنها وغنت أمام الأجانب فتلك إذن الفنانة المبدعة وسيدة الغناء العربي.

وسعوا إلى تقبيح اسم الحلال: فمثلاً يتسبدلون اسم الأخوة الإسلامية بالفتنة الطائفية، والحشمة والعفاف بالتزمت والتخلف، والغيرة بالعقد النفسية، والحجاب بالكفن، حتى يضعفوا تمسك الناس بها ويظهرون أن المتمسك بها هو الإنسان المنبوذ الذي خالف المجتمع الذي يعيش فيه.

الانفتاح الإعلامي والخطر العقدي

من خلال نشر الشبهات والأمور المخالفة للعقيدة الصحيحة، ومحاربة لله عز وجل ولدين الإسلام ونبي الرحمة والهدى، حيث أن معظم الفضائيات الانحلالية الناطقة باللغة العربية تدعم من قبل الدول الغربية ماديا وثقافيا، فأغلب برامجها نقل مباشر للصورة الحية لحياة الغربيين وأحلامهم، وطعامهم وشرابهم، والموضة في ملابسهم، ووسائل ترفيههم، وتفاهة أفكارهم فهي أسلحة موجهة ومسلطة لمحاربة دين الإسلام، وتشويه صورته والنيل منه، وإبعاد الناس عنه، ويكفي النظر إلى الأسماء التي تظهر على الشاشة لمعدي البرامج والمشاركين والمخرجين، لنعلم أن أغلبهم من النصارى المدعومين بالإمكانيات من قبل الغرب لإهلاك الجيل المسلم وتقويض هويته الإسلامية، يسعون في محاولة مستميتة لإذابة الفوارق العقيدة، وجعل المخالف والمنافي للعقيدة الصحيحة هو الأفضل من خلال التركيز على إخراجه في أحسن صورة.

فإذا نظرنا إلى الجهود التي يبذلها أصحابها سنفاجأ أن الميزانية المخصصة لها تصل إلى مائة وثلاثة وتسعين بليون دولار، عدد المجلات الدورية التي تصدرها الكنيسة: 23.800 مجلة دورية قبل خمسة عشر سنة، ارتفع عددها في عام تسعين إلى 30.100 مجلة دورية، بينما المحطات التي تختص بالتنصير فقط تصل إلى 2160 قبل أربعة عشر سنة، ارتفع العدد بعد ذلك قبل ثمان سنوات إلى 3200 محطة.

كل هذه الجهود والميزانيات تصرف إعلاميا لتخريب عقيدة التوحيد عند

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

المسلمين، وإحلال عقيدة التنصير والصليب بدلها، ويدخل في هذه الأفلام ما يعرض فيها من بركة الصليب والقوة التي يمنحها الصليب من إحياء الموتى، ومعافاة الضعفاء بالصليب وشفاء المرضى بالصليب، واستخراج الجن بالصليب، وطرد السحر والأرواح الشريرة بالصليب، وجلب الأمن ودفع الخوف بالصليب..

ومن مظاهر الانحرافات العقدية الخطيرة ظهور أنواع السحر والكهانة والتي تجعل المشاهد ينخدع بمثل هذه المشاهد ويحاول مطابقتها أو مشابهتها، وقد فاقت هذه الفضائيات ما حدث في عصور الجاهلية بمئات المرات، فهذه القنوات في الآونة الأخيرة حملت لنا أفكارا ومعتقدات طالما حاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحث على تجنب الوقوع فيها أو اللجوء إليها، فمن ذلك الكهانة والرجم بالغيب، وقراءة الطالع أو ما يسمى بالأبراج، فبعدما غزت هذه الآفات صفحات المجلات والصحف، وألِّفت فيها كتب وتصنيفات، تصف كيفية قراءة الكف والفنجان ومعرفة الأبراج والسحر والشعوذة.

ومن أخطر التأثيرات التي تحدثها متابعة هذه النوعية من الفضائيات: إضعاف عقيدة الولاء والبراء، ومن المعلوم أن هذه العقيدة لها أصلها الأصيل من هذا الدين، كيف لا وقد قال الله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" المجادلة، فالواجب هو محبة المسلمين ومحبة الخير لهم والفرح بكل ما به خيرهم، ويجب عدم موالاة الكفار والتبرؤ منهم لكفرهم والحذر من مودتهم، فمن البرامج ما يقدمه بعض النصارى الرجال والنساء، فتجد المتابع أو المتصل بالهاتف يبدي إعجابه وتعلقه بهم، خاصة إذا كانت المقدمة أو المذيعة امرأة، وأيضا من خلال المقابلات مع الممثلين والمغنيين المنحلين والذي حازوا ظلما وزورا على مصطلح الفنانين، تجد جمهورا عريضا يتابعهم ويتابع إنتاجهم ويتصل بهم عبر هذه الفضائيات ويطلب التوقيع على "أوتوجراف"، ويفرح بذلك ويفاخر به بين أهله وعشيرته، ولا شك أن هذه محبة لهم، وقد ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" البخاري 6168، وهذا عام في الرجال والنساء.

عندما يصبح الانفتاح مرادفا للانسلاخ من الدين!

..لا مشكلة لدى المسلمين في معرفة الآخر والانفتاح عليه؛ لهدايته إلى الحق أولاً، والاستفادة مما لديه من تقدم علمي ودنيوي، ولكن هؤلاء يريدون بالانفتاح شيئاً آخر وهو التراخي في التمسك بدين الله وقبول ضلالات الآخرين تحت مسمى الانفتاح ونبذ الانغلاق.

يتكرر كثيراً مصطلح "الانغلاق والانفتاح" للتدليل على موقف المجتمعات والحضارات والأفراد والجماعات من ثقافة الآخرين وسلوكياتهم، فمن يتقبل ثقافة الآخرين وسلوكياتهم فهو متفتح، ومن يرفضها ويدور حول نفسه وثقافته وسلوكياته فهو منغلق!

والانغلاق في رأي الغرب ومن سار على هداهم صفة ذم، والانفتاح في رأيهم صفة مدح، وهي وسيلة من وسائل هدم حصون الأمة وتذليل تعاونها مع الغزو والاستلاب؛ لأن المتفتح على الآخرين في رأيهم لا مشكلة لديه في النظر في ما سوى الآخرين والاندماج في أفكار العدو والارتياح إليه، وهذا ما يريده العدو، ولهذا وضع مثل هذا المصطلح وأكثر من الإلحاح عليه والتأكيد عليه لإيهام المنغلق بوهم يعينه عليه ويضعف من مقاومته.

والسؤال المهم: هل المسلم منغلق، أم منفتح؟

المسلم واثق بما لديه من دين الحق والصواب، وليس بعاجز عن القراءة والاطلاع على ما لدى الآخرين إطلاع وقراءة الواثق الناقد، والمسلم مطالب بدعوة الناس أجمعين، ولا يتم ذلك إلا بالذهاب إليهم ومخالطتهم ومعرفة ما لديهم، فليست هذه هي المشكلة، فالمقصود بالانفتاح أن تقبل ما لدى الآخرين ولو خالفوا دينك، وأن تتساهل معهم وتتجاهلهم وتعلق رضاك بالباطل الذي يتلبسون به، مع علمك التام ببطلانه، أو أن تكون مغفلاً لا يفرق بين حق وباطل وخير وشر، بل تهمه حياته الدنيا ومعيشته.

إن أمة الإسلام يشهد لها تاريخها بأنها خالطت الأمم الأخرى وانفتحت عليها وعرفت ما لديها وأثرت فيها وتأثرت بها في الجوانب الحضارية الدنيوية التي هي مشاع مشترك بين الأمم، ولا علاقة لها بدين ولا عقيدة ولا سلوك، ولا يحتاج هذا الأمر إلى تدليل؛ لأنه واضح في تاريخها يعرفه القاصي والداني في المغرب ومصر والعراق والشام والأندلس والهند ووسط آسيا، ولا زالت آثار ذلك باقية نراها في معيشة الناس وفي بطون الكتب، وإن كان هذا الانفتاح قد خلف آثاراً سيئة عندما دخل في القصائد والأديان والسلوك، ولكن دين الله بقي نقياً واضحاً يعرفه من أراده وبحث عن الحق بأدلته.

إذن لا مشكلة لدى المسلمين في معرفة الآخر والانفتاح عليه؛ لهدايته إلى الحق أولاً، والاستفادة مما لديه من تقدم علمي ودنيوي، ولكن هؤلاء يريدون بالانفتاح شيئاً آخر وهو التراخي في التمسك بدين الله وقبول ضلالات الآخرين تحت مسمى الانفتاح ونبذ الانغلاق.

لاشك أن الغرب عانى كثيراً في صراعه معنا من مشكلة إصرار المسلمين على الحق وتمسكهم به مع وجود المغريات الحضارية المادية والمعنوية، وقد اشتكوا في كل مكان احتلوه من بلاد المسلمين من هذه المشكلة، فأرادوا بمثل هذه المصطلحات أن يُروِّضوا الأمة على قبولهم وقبول ما لديهم من أفكار وسلوكيات، واستطاعوا بقوتهم المادية وسيطرتهم على بلاد المسلمين وتمكنهم من تربية أجيال عديدة وإقناعهم بمثل هذه المفاهيم أن يجتاحوا أعداداً ليست بالقليلة من المسلمين.

ولكن يقظة الأمة وصحوتها مع نفسها ورجوعها إلى ربها في الأزمنة الأخيرة أغاظتهم وأثارت مخاوفهم من عودة جذرية شاملة لهذا الدين، يتمكن به المسلمون من خلع نير الغرب عن رقابهم؛ فاستعادوا أسلحتهم القديمة وأخرجوا مثل هذه المصطلحات، وأعانهم عليها الطابور الخامس (العلمانيون) ممن تمكن حب الغرب من قلوبهم، فرأينا في الفترة الأخيرة كثيراً من الكُتّاب في الصحف والمتكلمين في الإذاعات والقنوات ومواقع إلكترونية يكثرون من الحديث حول الانفتاح والانغلاق حتى لا يسبقنا الركب -بزعمهم- ونتخلف عن الحضارة المعاصرة ونصبح على هامش الحياة. ويتجاهل هؤلاء أن أكثر من مائتي سنة مرت على احتكاكنا بالغرب وغيره ومعرفة ما لديه من تقدم علمي واضح ولكن دون جدوى.

ويتجاهل هؤلاء أننا في الفترة السابقة انفتحنا على الغرب وأسرفنا على أنفسنا، وأن ذلك ما زادنا إلا ضعفاً وهواناً ولم يتعلموا من تجربة الماضي القريب، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ويتجاهل هؤلاء أسباب تخلفنا وتقصيرنا مع معرفتهم التامة بالمسؤول عن ذلك الذي سيحاسبه الله على ذلك وإن لم يحاسبه الناس.

المهم هو أن تتنبه الأمة إلى ما في هذه المصطلحات من كيد ومكر، وما فيها من ألغام متفجرة، وما وراءها من حرص على اختلال هذه الأمة وإضعاف مقاومتها المعنوية لتفوق العدو في المجالات الأخرى "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ"، "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ" فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخاطب بمثل هذا الخطاب ويُحذَّر من مساومة العدو له على مبادئه، فما بالنا نحن المساكين الضعفاء نفقد حذرنا ونثق بعدونا وأتباعه -الطابور الخامس- ونتساهل في هذه المصطلحات؟!

الانفتاح هل هو حاجة للمسلمين أم تخطيط ماكر للأعداء؟!

زُين مصطلح الانفتاح في مرحلة الاستعمار والتبعية من قبل دعاته المبهورين به، فربطوه بالمرونة والوعي والعلم والتبادل الحضاري، مع أنه لم يحقق للأمة سوى التضليل الذي جعلها تقبل بالاستلاب، لأنه في الأصل انفتاح قسري إجباري.

والغرب لم يصل إلى ما وصل إليه الآن من استغلال لأراضي وثروات المسلمين إلا بعد أن هيأ الأرضية التي تقبل أفكاره وأطروحاته، وإليك أيها القارئ الكريم جملة من أقوال مستشرقي ومنصري ومنظري الغرب:

قال "سوردون": "إن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد البربرية فلأصحاب هذه الأسلحة الحق في اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في البلاد.. وإذا كانت العادات العرفية البربرية لم يكن لها مناص من الاضمحلال أمام مشروع مدون (يعني الشريعة الإسلامية)، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين" (الغزو الفكري والتيارات المعادية ص:115).

وعن (اللامبالاة) وعدم الاكتراث بالدين التي قلد فيها المسلمون الغرب يقول "باتاي": ".. وهنا ظهر على المسرح (الغربي) المحمل بالهيبة والذي يحتل وضعاً أعلى ويحمل ثقافة تستحضر الرغبة في محاكاتها: أن هؤلاء الأجانب لا ينتمون فقط إلى دين مختلف، ولكن اتجاهاتهم نحو دينهم المسيحي كانت فاترة، فكان من الطبيعي أن يقلد هؤلاء المعجبون بالطرق الغربية من مجموع ما قلدوه الفتور نحو الدين واللامبالاة به، فأظهروا عدم الاهتمام بدينهم هم".

يقول المبشر "صموئيل زويمر": "ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية، **فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية و نسهل إلتحاقهم بهذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب**".

و يقول المبشر "تكليس": "يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية و تعلموا اللغات الأجنبية".

يقول المستشرق الإنجليزي "جب" موضحاً أهمية الصحافة في تغريب المسلمين: "وللوصول إلى هذا التطور الأبعد الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة".

ثم يقول: "إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي".

ثم يبين نتائج هذا الغزو الفكري عن طريق الإعلام المكتوب إلى جانب غزو المناهج التعليمية : "إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثراً **جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد**، وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته، من آثاره أن الإسلام كعقيدة لم يفقد إلا قليلا من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضاً صريحاً، ولكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم، وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت فى طقوس محدودة".

فلنتأمل كلام هؤلاء المستشرقين والمنصرين والمنظرين لندرك الهدف المتوخى وراء الإسرار من المطالبة بالانفتاح.

ضابط الانفتاح على الآخر الحفاظ على الدين والهوية وتجنب الانبهار

سبق أن بيَّنا أن مصطلح الانفتاح فيه غموض وضبابية، ويتضمن معان سلبية في فهم طبيعة الدين ومقوماته. ولكن سنستعمل هذا المصطلح بمعناه العام الذي يدل على معنى الاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين وترك الانكفاء على الذات والانغلاق عليها. وهذا المعنى العام يمكن تطبيقه بشكل صحيح إذا روعي فيه الضوابط الآتية.

من حيث المبدأ فإن الانفتاح على العالم فكريا وثقافيا.. له آثاره المفيدة في العلوم الدنيوية إذا كان ممن التزم بدينه وعقيدته ولا يخاف عليه الضلال، أما المطالبة بشكل عام من الانفتاح على الآخر دون تحديد لنوعية القضايا التي يتم فيها الانفتاح، ونوعية المُطالب به فليس كل أحد يقدر على أخذ المفيد وترك الزغل؛ فهذا لا شك في خطأه وبعده عن الصواب، ومنافاته للمحافظة على الخصوصية التي تميز بها المسلمون عن غيرهم. ولذا فلا بد من وجود ضوابط أثناء الانفتاح على الثقافة والمعارف بشكل عام، ولعلنا نوجزها في ما يلي:

أولاً: أن يكون الانفتاح بعد العلم الشرعي

فإن العلم بالشريعة الإسلامية ضرورة لمعرفة دين الإسلام وتطبيقه والعمل به، وهو أيضاً ضرورة للانفتاح الفكري على الثقافات والآداب غير الإسلامية. فالانفتاح المفيد يكون بعد تصور عقيدة الإسلام وأحكامه تصوراً صحيحاً، والثقة بها، ورَدِّ كل ما يخالفها من عقيدة أو عمل. أما الانفتاح قبل العلم فإنه مزلق خطير يجعل صاحبه يتخبط في الأفكار والمناهج و الفلسفات، ويقع فيما يخالف ويناقض أصول دينه، ومن أقل آثاره الشك في صحة دينه والشعور بالنقص نحوه. وهذا هو أحد أسباب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب والإنكار عليه عندما رأى في يده صحائف من التوراة فقال له: "أمُتَهَوِّكُون فيها يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني" (رواه أحمد بسند صحيح). ومعنى (مُتَهَوِّكُون أي: متحيرون)، فيكون هذا النهي عن قراءة كتب الشرائع السابقة وعموم المعارف دون علم بالشريعة، أو قراءتها للاهتداء بها.

ثانياً: أن يكون الانفتاح مع الالتزام بالإسلام والحفاظ على الهوية

الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة الإنسانيّة: الروحية والمادية، الفردية والجماعيّة، العلمية والعملية، وهو دين ثابت في قواعده وعقائده.

فالانفتاح والتطور والتجديد والعقل والإبداع ونحو ذلك، لا يمكن أن تصادم هذا الدين إذا كانت صحيحة وحقاً، أما إذا كانت باطلاً فمن الطبيعي أنْ يعارض الباطل الحق، والخطأ الصواب، وكل ما سبقت الإشارة إليه يعود إلى (العقل)، وقد قرر العلماء استحالة ورود العقل الصريح مناقض للنقل الصحيح، فإما أن تكون دلالة العقل غير صحيحة فهي غير مقبولة أصلاً، وإما أن يكون النص غير صحيح أو غير صريح في دلالته، وحينئذٍ فالدين موافق للعقل لأن الجميع من عند الله تعالى.

لقد فطن شيخ الإسلام ابن تيميّة لأساس المشكلة عند دعاة الانفتاح والتطوير والتجديد وهو (تعظيم العقل)، وسوء الظن بالنقل، ولهذا ردوه أو أولوه وحرفوه، فبين التوافق والانسجام للعقل مع النقل، وبين عظمة النقل واتساقه مع حاجات الإنسان النفسية والعقليّة والاجتماعية، وهذا ما لم يتصوره هؤلاء ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فيه وإدراكه.

وما زالت المشكلة قائمة إلى اليوم وإن اختلفت العبارات فكان الأقدمون يسمونها "تعارض العقل والنقل" أما المعاصرون فقد يغيرون كلمة (العقل والنقل) إلى (العلم والدين) أو (الدين والمدنية) أو (الدين والتطور) أو غير ذلك. والحقيقة أن كتاب "درء تعارض العقل والنقل" علاج لقضايا عصره وعصرنا، وكما أنه رد على الفلاسفة والمتكلمين فهو يصلح أن يكون رداً على دعاة التنوير والعصرانيين. نعم هناك اختلاف في الأمثلة والنماذج المضروبة لكنّ اللباب والقضيّة الجوهرية واحدة.

والمهم أنه يمكن للإنسان الانفتاح والاطلاع والثقافة والإبداع في إطار الالتزام بالشريعة الإسلامية عقيدة وعملاً ومنهجاً والحفاظ على مبادئ الهوية الإسلامية.

ثالثاً: الانفتاح دون الانبهار بثقافة غير المسلمين

الانبهار بثقافة غير المسلمين وآدابهم وأفكارهم ومناهجهم دليل على عدم العلم بالإسلام والاعتزاز به والثقة المطلقة بصدقه ودلالته على الفلاح والهداية في الدنيا والآخرة. وهو من جهة أخرى يدل على ضعف شخصيّة المنبهر، وهزيمة نفسه، وقصور فكره. ومن كانت هذه حاله فلن يتجاوز التقليد المجرد، أما التجديد والتطوير والإبداع والابتكار فلا يمكن أن يحصلها المنبهر حتى يفيق من سكر انبهاره بغيره، ويقوم بنقده نقداً واعياً ليأخذ ما يفيده ويرد ما عداه.

ويمكن للمسلم أن يطلع على ثقافات الأمم الأخرى بعد العلم، ومع الالتزام ودون انبهار ليعرف نعمة الله تعالى عليه، أو للاطلاع على الصناعات والمخترعات المفيدة في قوة المسلمين أو غيرها من المصالح المشروعة. وأي أمة جادة تريد تطوير نفسها لا يمكن أن تسمح بالانبهار بالآخر بين أبنائها.

ولما ذهب جيل من اليابانيين إلى الغرب رجع وهو يلبس الجينز ويقلد الغرب في كل شيء، ذبحهم حاكم اليابان وأرسل جيلاً آخر لم يتأثر بشيء من العادات أو الأفكار، بل تعلم التقنية والتكنولوجيا وطورتها فأصبحت من الدول الصناعية المنافسة.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

البعض يراها تهديداً أمنياً محتملاً المساجد الجديدة تزعج أوروبا خوفاً من الأسلمة وتشويه منظر الأفق

تتعدد الانتقادات التي يواجهها المسلمون في أوروبا تجاه خططهم لبناء مساجد جديدة لتتناسب مع وضع الإسلام بصفته ثاني ديانة في القّارة.

فعلى الرغم من أن المسلمين في شتى أنحاء أوروبا يصلّون في مواقف السيارات المغطاة، والمصانع القديمة؛ منذ فترة طويلة، إلا أن رغبتهم ببناء مساجد ملائمة تُواجَه برفض بعض المنتقدين الذين يرون فيها إشارات على "الأسلمة"، بينما يتحجج آخرون أن المآذن ستشوه صورة الأفق في مُدنهم.

نظرة خاطئة

ساهمت الصورة التي كوّنها الأوروبيون في أذهانهم بالربط بين المساجد ومراكز الارهابيين، بجعل البعض يعتبر المساجد المزمع إنشاؤها بمثابة تهديد أمني محتمل.

ويعترف المتحدث باسم الجاليات الإسلامية في أوروبا طارق رمضان أن التواجد المرئي بشكل متزايد للمسلمين أثار تساؤلات في المجتمعات الأوروبية، مشيراً إلى مقترحات الجماعات اليمينية المتطرفة في موطنه سويسرا العام الحالي بحَظْر المآذن.

وتصدرت هذه القضية عناوين الصحف في بريطانيا لفترة من الوقت بالتزامن مع إرسال التماس ضد بناء "المسجد الكبير" بالقرب من المكان الذي سيستضيف دورة الألعاب الأولمبية في لندن عام 2012م، ووقّع على الالتماس أكثر من 275 ألف شخص؛ قبل أن يحذف من على موقع رئيس الوزراء البريطاني "جوردون براون" على الانترنت.

كما شهدت ألمانيا الشهر الماضي احتجاجات مناهضة للمساجد في كولونيا وبرلين، في حين صوّت مجلس محلي ضد بناء مسجد في "ميونيخ"، وتعهدت جماعة يمينية متطرفة فرنسية بإقامة دعوى ضد مدينة "مرسيليا" للمرة الثانية بسبب المساعدة التي قدمتها لبناء "مسجد كبير".

وقال بكر ألبوجا من الاتحاد الإسلامي التركي في "كولونيا": إن بعض المنتقدين الذين يرون هذه المساجد الكبيرة إشارات على الانفصالية، أو الاستعمار الإسلامي لأوروبا؛ لا ينظرون للأمر بشكل صحيح، وأشار إلى أن رغبة المسلمين في بناء دور العبادة "تعني أنهم يريدون أن يَشعروا أنهم في وطنهم، ويعيشون في وئام مع دينهم في مجتمع تقبّلوه، مجتمعا لهم".

قبول رسمي ومعارضة شعبية

وعادة ما تتطلب مشاريع بناء مساجد كبيرة أعواماً طويلة من التخطيط، يتم خلالها التعارف بين زعماء الجاليات الإسلامية ومسؤولو المدينة على بعضهم البعض بشكل أفضل، لينتهي الأمر بدعم معظم رؤساء البلديات لمثل هذه المشاريع التي تساعد على اندماج الأقليات الجديدة.

إلا أن السكان والنشطاء اليمينيين المتطرفين، وينضم إليهم زعماء نصارى أحياناً؛ بدأوا يتحدثون في الآونة الأخيرة ضد هذه المشاريع، إذ أصبح واضحاً أنه سيكون هناك مسجد بجوارهم قريباً.

وتعتبر الخبيرة في الشؤون الإسلامية بأوروبا في جامعة "هامبولدت" بـ"برلين" "رايم سبيلهاوس" أن المسجد "يرصد رمزياً التغيرات التي طرأت على



المجتمع، ويعيد فتح النقاش حول ما إذا كانت هذه التغيرات جيدة"، وأضافت: "لكن نادراً ما تجرى مناقشة ذلك صراحة، فالنزاعات بشأن المساجد تركز على قضايا أخرى مثل: الإرهاب، ودور النساء، أو ما إذا كانت هناك أماكن متاحة لتوقف السيارات".

حجج المعارضين

ويقول منتقدو بناء المسجد الكبير في لندن ويقودهم محام محلي لجماعة "مسيحية": إن المسجد الذي سيسع 12.000 مصل سيحول المنطقة السكنية إلى "منطقة عقيدة واحدة"، وسيبعد أتباع الديانات الأخرى، ويدّعون أن الجماعة التي ستبني المسجد تمثل خطراً أمنياً، لأن "ريتشارد ريد" الذي حاول تفجير طائرة بمتفجرات مخبأة في حذائه، واثنين من المهاجمين الانتحاريين في الهجمات التي تعرضت لها لندن في يوليو عام 2005م ينتمون لهذه الجماعة.

وفي "كولونيا" واجهت خطط الاتحاد الإسلامي التركي بناء مسجد على الطراز العثماني اتهامات بأن حجمه كبير للغاية بالنسبة لمدينة توجد بها واحدة من أبرز الكاتدرائيات المبنية على الطراز القوطي في العالم المسيحي، وقال "الكردينال" الكاثولكي "يواكيم مايزنر": "أشعر بالقلق، المسجد سيعطي المدينة صورة مختلفة".

وأثار مشروع بناء مسجد في "بانكوف" وهي منطقة بشرق "برلين"؛ يقيم بها القليل من المسلمين؛ اشتباكات عنيفة بين مؤيدي ومعارضي المشروع، وانضمت جماعات النازيين الجدد إلى الاحتجاجات، وأشعلت النيران في شاحنة عند موقع البناء في مارس.

أما فرنسا التي يقيم بها خمسة ملايين مسلم يمثلون أكبر جالية إسلامية في أوروبا فلها تاريخ أطول مع المساجد في مدنها، خاصة وأن الكثير من رؤساء البلديات يوفرون الأراضي بتكاليف بسيطة من أجل بنائها.

بشكل غير متوقع فاز حزب يميني متطرف بدعوتين قضائيتين العام الحالي ضد مثل هذا الدعم بضاحية بـ"باريس"، وفي "مرسيليا"؛ حيث ربع السكان من المسلمين.

وكان رئيس بلدية "مرسيليا" "جان كلود جودان" حريص على إقامة مسجد كبير هناك بعد عقود من المناقشات، وقال لمجلس البلدية: "من حق الجميع أن يتمتع بمكان عبادة لائق". ويصلي معظم مسلمي "مرسيليا" الآن في مساجد مجاورة صغيرة للغاية نسبة إلى عددهم.

طلبات حظر

ولم يقتصر الأمر على الاعتراض في "سويسرا"، إذ قدّم حزبان يمينيان التماساً يطالبان فيه بإجراء استفتاء لحظر المآذن في البلاد.

أما في إيطاليا فقد دعت الرابطة الشمالية المناهضة للهجرة في يونيو الماضي إلى إغلاق كل المساجد لإجراء تفتيشات أمنية، وكان محتجون تركوا رأس خنزير خارج مسجد يقام في بلدة "كولي دي فال ديلسا" في ديسمبر 2006م.

ويبدو الخوف من الإسلام متجذراً في بعض الدول الأوروبية، ففي اليونان والتي عاشت أربعة قرون تحت الحكم العثماني؛ لم يتمكن المسلمون من الحصول على أول مسجد لهم في أثينا إلا في يونيو الماضي فقط، بينما لا تزال خطط لبناء مسجد أكبر معلقة.

وفي إسبانيا التي كانت قلعة للثقافة الإسلامية لثمانية قرون حتى عام 1492م رفض الزعماء الكاثوليك بعصبية طلباً من المسلمين للصلاة في كاتدرائية قرطبة، على الرغم من أنها كانت أصلاً مسجداً.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

صورة الثورة الفرنسية في تطبيقاتها العربية

د. مصطفى السيد

بلغ صخب التنافس والتسابق على الإشادة والإشارة إلى منجزات الثورة الفرنسية ذروته، حتى تنافس الكثير من العرب والمسلمين في وصف مبادئ هذه الثورة وأنها بمثابة الخلاص للإنسانية، ولكن النظر ينقلب حسيراً إذ نجد رجالات العرب المسلمين لا يحضرهم شيء عن الإسلام صاحب الدعوة العملية ليس لحقوق الإنسان فقط بل لحقوق الحيوان: "أئن لنا في البهائم لأجراً؟ فيجيب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "في كل ذات كبد رطبة أجر" عليك الصلاة والسلام يا رسول الله وأنت تخاطب (أُحُدا) "هذا أحد جبل يحبنا ونحبه".

هذه العاطفة التي تمتد إلى الجلاميد الصلاد هل يمكن أن يسبقها شيء في الحقوق بكل صورها؟.

وإذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية (المقدسة) هي التي تحكم أوربا في مطالع القرن العشرين فلنر ثمرة ذلك.

لقد بلغ ضحايا هذه الثورة عشية ظهورها كما يذكر "فيليب دوفاليه" (مؤرخ فرنسي معروف): "أربع مائة ألف مواطن في غرب فرنسا وحدها"، وفى مصدر آخر أن هذه المذابح الثورية (أتت على سبع سكان فرنسا)، وقال أحد كبار الكتاب في الغرب "بيتر فايس": "وضعنا ماكينة الثورة، لكننا لا نزال نجهل طريقة استعمالها" وأنا لا أدري إن كانت هناك ثورة حديثة قد تجاوزت هذا القول.

أما فكر الثورة الفرنسية -ونحن لا نزال في دائرة المراجع الفرنسية- فهو تأليه العقل[1].

وفى المصادر الغربية يقولون عن الثورة الفرنسية: "نصبت العقل معبوداً تقدم له القرابين وتقام له الشعائر"[2].

ولم يكن الغرب مجمعاً على تقديس هذه الثورة، فأهالي (فرساي) خذلوا كل توسلات "ميتران" للمشاركة في احتفالات الثورة، ونفر من شباب جامعة "السوربون" اقترحوا إقامة نافورة في ذكرى الثورة ترش الناس بالماء وأن يكتب عليها شعار الثورة معكوساً: غباء -حماقة-وحشية.

وإذا كان كلام الساسة المسلمين الذين شاركوا في أعراس باريس بمناسبة مرور قرنين على الثورة الفرنسية في أواخر يوليوز 1989م والذين لهم قرص في كل عرس، إذا كان كلام هؤلاء يصنف عادة أنه كلام "بروتوكولي" فالعجب العجاب يتأتى من كهنة الثقافة عندنا الذين يعدون بداية وجودنا وميلادنا الإنساني يوم دخلت خيول هذه الثورة مصر (1213-1215هـ/1798-1801م)، إن هذا الوجه الخادع للثورة الفرنسية جعل قطباً من أقطاب التاريخ المصري ينشد في بداية كفاحه الوطني 1895م: وهو مصطفى كامل ينشد ابتغاء الغوث من هذه الثورة:

أفرنسا يا من رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك
انصري مصر إن مصر بسوء
واحفظي النيل من مهاوي الهلاك
وانشري في الورى الحقائق حتى
تجتلى الخير أمة تهواك[3]

إن هؤلاء جميعاً من المبهورين بالثورة الفرنسية ينطبق عليهم قول "جومار" المشرف على بعثة الطهطاوي ورفاقه: "يظهر من فحوى كتاباتهم أنهم قبل أن يكتبوا يفكرون بعقل فرنسي لا بعقل عربي".

إن هؤلاء جميعاً يعدون (محمد علي) 1182-1265هـ الأب الروحي للدولة العربية الحديثة الوليدة العربية للثورة الفرنسية، وإن رفاعة الطهطاوي الذي ولد في العام الذي انسحب فيه الفرنسيون من مصر 1873م-1801م هو المنظر الثقافي الأبرز لهذه الدولة ولتلك المرحلة.

وإن كان جمهور الكهنة في معابد الثقافة "الهلنستية" والغربية لا يزالون في حالة استغراق تام وهم يرتلون أسفار الثورة الفرنسية، فإن نفراً من الباحثين قد أخذ يقرأ هذه الثورة بعقل سليم معلنين أنها باتت من النفايات التاريخية وقد آن الأوان للدخول في مناقصة بيعها وتصفية ملحقاتها من علمانية وحقوق إنسان وغير ذلك من الأطر الجميلة لمضامين فارغة.

إن الحملة الفرنسية على مصر قد نبهت مصر إلى تاريخها الفرعوني للالتفاف على التاريخ الإسلامي، إن صورة فرعون "الديكتاتور" في القرآن كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

إن الحملة الفرنسية قد اصطحبت معها أكثر من (300) امرأة سافرة وكن أزواجا أو خليلات للجنود وكن معرضاً أو نموذجاً لما تريده الثورة الفرنسية للمرأة المسلمة في مصر وهو أن تحاكي هذه النماذج الهابطة الساقطة[4].

إن نابليون عمل من خلال المجلس الذي شكله لحكم مصر على نسف آيات المواريث التي تميز الرجال عن النساء[5]، وذلك كله كان الأرضية التي انطلق منها دعاة تحرير المرأة، ولقد كان الطهطاوي هو الجسر الأكبر الذي عبرت من فوقه أفكار الثورة الفرنسية.

والحق أن قراءة إسلامية لجهود الطهطاوي الفكرية باتت أمراً ملحاً لعدة أسباب:

- الثناء المطلق على الطهطاوي داعية ودعوة لدى كل حديث عن جذور النهضة ومن مختلف المنابر والمواقع الثقافية إلا من عصم ربك.

- أثر الطهطاوية في الحكم والحكومات العربية الحديثة والمعاصرة لأنه كان الجسر بين العرب والثورة الفرنسية، والانطلاق من دعوته وتجربته لتدعيم وترميم كل جسور التقارب مع الغرب.

- دعوته نقض وإجهاض لدور الشريعة وإلا فبم نفسر كونه (أول من كتب للمصريين في المباحث الدستورية، وعرب دستور فرنسا في ذلك الحين)؟[6].

تترس العلمانيون واليساريون والتلفيقيون خلف الطهطاوية ليحتسبوا على الإسلام سيئات الحكم في العالم الإسلامي في كل الأعصار، إرجافاً لإبعاد الإسلام عن قيادة الحياة والمجتمع.

ترتب على مشروع محمد علي -والذي نفذه فكرياً الطهطاوي- انكماش وتهميش لدور الأزهر التاريخي وذلك لصالح المدارس والبعثات التي شكلت العمود الفقري للبنيان الثقافي الجديد، وألحق العلماء بهذا المشروع الجديد[7].

وإذا كانت إقامة رفاعة في فرنسا التي بدأت عام 1826م قد وضعته بصورة نهائية وتامة في صف المبهورين والمحامين عن فكر الثورة الفرنسية فإن ذلك ما كان ليتم لولا جهود شيخه شيخ الأزهر حسن العطار أيامئذ، هذا الشيخ (الذي فرَّ إلى الشام عشية دخول الفرنسيين مصر ثم عاد ليلتقي معهم ويتصالح مع الحضارة الغربية بل يتجاوز ذلك ليعجب بالفرنسيات ويتغزل بهن)، وهذا ليس كلام الدوائر الإسلامية بل سطره رأس من رؤوس الحداثيين في مصر صلاح عبد الصبور في كتابه ("قصة الضمير المصري الحديث" ص: 23-24)، ولو قال غير عبد الصبور هذا الكلام لنبز بالعري من الوعي وألبس حلة التطرف وكسوة التعصب.

وهكذا (كانت استجابة الطهطاوي الكاملة لما قدم له في فرنسا من أطعمة فكرية ومعتقدية).

إننا نتساءل لماذا أهمل دور الجهاد والقتال من قبل الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية؟ ولماذا أغفل رفض قطاعات كثيرة من الشعب للتفرنس بكل صوره..؟

ولماذا كان البحث عن أسباب القوة خارج حدود المجتمع الإسلامي؟ وبالتالي لماذا لم يبحث الطهطاوي عن مصادر القوة داخل بنيان المجتمع الإسلامي وداخل الخزين الفقهي والمخزون الفكري الإسلامي؟

ألم تكن سياسة الهروب هذه تكملة وتتويجاً لحالة هروب وانقطاع تاريخيين للسلطة في العالم الإسلامي عن النموذج النبوي التاريخي من جهة، واستمراريته المتحققة في تيارات الأمة القاعدية في المرحلة التي تلت انقطاع رأس الهرم السياسي والفقهي الإسلامي عن النموذج النبوي الشريف[8].

وإذا انطلت على الأذهان أكذوبة التحديث وأصالتها وفائدتها المحققة فإننا نتساءل عن ثمرتها على الأرض، هل كانت في هيمنة بريطانيا على مصر (المحدَّثة) لعشرات السنين؟

..يقول لويس عوض مقوِّماً رجالات عهد التحديث قديماً و حديثاً: "السادات وأبناء محمد علي فصيل واحد في الفساد، وهذان العصران من أسوأ عصور مصر، وعندما نتتبع العصرين سنجد أن التاريخ يعيد نفسه في الفساد والنهب وفتح البلاد على مصراعيها أمام القوى الخارجية"[9].

لقد انفتحت اليابان على الغرب، محتفظة بكل مقوماتها الذاتية واعتزازها بروحها ولغتها، فأخذت دون أن تدفع ضريبة معنوية، أما الانفتاح الطهطاوي فلم يبق ديناً، ولم يأت بدنيا.

1- السير كامو: تأليف جرمين بري، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا243.
2- قصة الضمير المصري الحديث: صلاح عبد الصبور.
3- المصدر السابق 243.
4- دراسات في تاريخ مصر الحديث 94، عمر عبد العزيز.
5- المصدر السابق 187، وكان اسم المجلس (فرمان الشروط) والذي وصم كل أعضائه من المصريين بالخيانة بعد رحيل "نابليون".
6- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي 26.
7- مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد 45، من مقال من أكمل ما قرأت في تحليل دور الطهطاوي د. حسن الضيقة بعنوان (الطهطاوي وعقيدة التحديث).
8- من مقال: د الضيقة.
9- مجلة الشراع، عدد 369.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

اللغة العربية القرآنية ودورها في بعث أمجاد الأمة الإسلامية

أبو عبد الرحمن ذو الفقار بلعويدي

تعد اللغة -بصفة عامة- ركنا تقام عليه حضارة الإنسان، وعاملا مهما في تقويم الفرد وتكوين شخصيته، وتشكيل ثقافته، وبناء مجتمعه. و هي الرابط الفكري بين الأمة الواحدة وأداة التواصل بينها، والشعار الذي يميزها عن غيرها. بل هي الوعاء الذي يحفظ هويتها، وأي تغيير أو تحريف يلحق لغة ما في مضمون ألفاظها و مدلول مصطلحاتها فهو -لا محالة- إلحاق التغيير في سير الأمة بكاملها، واقتلاع لجذورها، وفسخ هويتها، حيث تتغير التصورات وتقلب المفاهيم وتشوه الحقائق وتتداخل الدلالات فيغيب التواصل. وحينها تفقد اللغة أثرها الفعلي في توحيد الأمة الذي هو أسمى دورها.

و الأمة التي لا تحسن لغتها تنسلخ ضمنيا عن ثقافتها ومبادئها، وتكون عالة على غيرها وتابعة له.

اللغة العربية مادة تعبيرية

اللغة العربية مادة تعبيرية يشملها كل ما يشمل اللغات من خصائص، و تشترك معها في الأهداف، وهي تعتبر لغة رسمية ضمن اللغات الخمس الكبرى في العالم[1]، إضافة إلى استحضار أنها لغة أنزل بها القرآن، حيث تجاوز بها الحد إلى الربط بين كل من هو مسلم، بغض النظر عن جنسه وأرضه وقومه وأصل لسانه، وذلك لكونها اللسان الناطق بالإسلام؛ المعبر عن مدلوله، المترجم لمراده. ومن ثم فمن غير إدراك دلالة اللفظ العربي وفق المعنى الذي وضع له في أصل لغته القرآنية، فإنه يستعصي إدراك معنى الإسلام على حقيقته، وبالتالي فأي تزييف يحصل في مدلول ألفاظ اللغة العربية، فهو تلقائيا تزييف في مفهوم الإسلام، وانحراف في تربية المسلمين. لأن العربية لغة استوعبت كل مطالب الدين الإسلامي، فهي بنزول القرآن باتت لغة دينية، مهمتها إنشاء الشخصية الإسلامية، وتشكيل هويتها عقديا وسلوكيا.

إدراك الغرب الصليبي لدور لغة القرآن

لقد أسهم عامل التاريخ والخبرة في تمكين الغرب الصليبي -وذلك بعد خوضه سلسلة من الحروب العسكرية التي أنهكت قواه ضد المسلمين- من إدراك دور اللغة العربية القرآنية وما تملكه من سلطان على روح الشعوب الإسلامية، بفضل ما تشتمل عليه من أسلوب بياني عميق، وتعبير مؤثر يهز القلب، ويستنهض المشاعر، ويوقظ الهمم، ويرفع المعنويات، في تناسق بديع متميز يبعث في النفس عزة، تخلصها من الرضا بالمذلة، وتحررها من الخضوع لغير الله. حيث خلص -الغرب الصليبي- إلى أنه يستعصي عليه إحكام قبضته على البلاد الإسلامية وبسط هيمنته الفكرية عليها، من غير الفصل بين المسلمين ولغة هذه طبيعتها . يقول الجنرال "ليوطي": "إن العربية عنصر أسلمة لكونها لغة القرآن، أما مصلحتنا فتفرض علينا أن نجعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام"[2].

وقال: "..من الوجهة اللسانية علينا أن ننزع إلى المرور مباشرة من البربرية إلى الفرنسية"[3].

فوصف "ليوطي" اللغة العربية بأنها عنصر أسلمة يدل دلالة قوية على عمق إدراكه لسرّ قوة اللغة العربية في قالبها الإسلامي. حيث قوتها -في نظره- لا تكمن في مجرد كونها لغة -حروف وكلمات وجمل- فحسب، فهي بهذا الوصف كانت قائمة قبل الإسلام، لكنها لم تصنع ما صنعته لغة القرآن في فكر الإنسان وتوجهه العقدي.

وهذا المستشرق "كامفاير" يقول في شماتة، عندما ألغي الحرف العربي في تركيا: "**إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية**"[4].

هذا كله يساعدنا على إدراك حقيقة المنطلق وسر مبادرة المستعمر الصليبي -بعد استيلائه على البلاد الإسلامية وسيطرته على حدودها- إلى فرض لغة بلاده في البلدان التي استعمرها، لتحل محل العربية -على الخصوص- في المؤسسات التعليمية، والدوائر -حكومية كانت أو خاصة- ، مما حور هذا الاستيلاء تلقائيا من احتلال عسكري إلى غزو فكري، وهذا الأمر هو عين ما عبرت عنه أمريكا بـ: "تجديد الخطاب الديني" وذلك في حربها الأخيرة على البلاد الإسلامية بعد امتلاكها زمام العالم، والغاية منه تغيير مفهوم الإسلام، والتشكيك في التصور الصحيح لمعاني القرآن، وتفريغها من مضمونها الأصيل، وذلك بتحريف المصطلحات الرئيسية عن مقصودها الحقيقي، أو باختزالها في معان محدودة تفقدها شمولية مدلولها؛ كمصطلح: الإسلام، والجاهلية، والإله، والدين، والعبادة، والعدل، والظلم، والنفاق، والجهاد، والولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إلى غيرها من المصطلحات[5] التي تعتبر أسس بناء الفكرة الإسلامية. وهذا كله قصد تحقيق إعادة تشكيل الإسلام في أذهان المسلمين وفق ثقافتهم الغربية. يقول "فوكوياما": "أنا أرى أن التوفيق ممكن بين الإسلام كدين وبين الحداثة؛ فالإسلام يمثل ديناً ونظاماً ثقافياً معقداً للغاية، وقد أثبت قدرته على التوافق مع الحداثة في عدد كبير من المجتمعات والأفراد، **ولا أرى هناك سبباً يمنع من وجود شكل حديث للإسلام، غير أن "نوع الإسلام" الصحيح لا يمكن أن يتفق مع الحداثة، والقضية الأساسية هي إمكانية وجود دولة علمانية تجعل الإسلام بين أربعة حيطان**"[6].

نعم شكل حديث للإسلام؛ لأجل إنتاج جيل عقليته مزدوجة؛ انتماؤه يكون للإسلام، وفكره ونظرياته ومبادئه تكون من الغرب، جيل يقوم مقام الغرب في بلاد المسلمين يحقق له أهدافه، ويعمل لحسابه، جيل هيكله عربي لكنه منطبع بطابع غربي، جيل أكبر همه الركض وراء شهواته وشكله ومظهره، وشغله الشاغل دنياه. مشوه التصور يَعتَبرُ التَفَلّت من أحكام الشريعة تحررا، والانضباط بأوامرها حرمانا. مشتت الفكر، لا يملك سياسة تجمع شمله، أو نهجا يوحد صفَّه، طابعه المميز له هو الفرقة والتناحر. هذا إسلام قومي، وذاك إسلام وطني، وثالث إسلام حَداثي أو مَدني، ورابع إسلام عصري، وخامس إسلام راديكالي.. هكذا وكلها تنصهر في مخطط علمنة الإسلام. أو إنشاء إسلام علماني، أو بتعبير أصح إسلام بمعايير غير إسلامية. يقول القس "زويمر" في خطاب تهنئته للهيآت التبشيرية المتواجدة بالعالم الإسلامي: "إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية، إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، إنكم أعددتم نَشْئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء"[7].

وهذا النص يكشف مدى الحقد والحسد الذي تكنه نفوس الصليبيين للمسلمين، و ما تضمره صدورهم من الكيد لهم، وصدق الله العظيم "وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ" البقرة، و لقد استطاع الغرب تحقيق جزء وافر من الدمار الفكري، تطلب منه جهدا كبيرا، ووسائل كثيرة، وطاقات عدة، تمثلت في إرسال البعثات التنصيرية، وتأسيس المدارس الأجنبية، وإنشاء المراكز الثقافية -المركز الثقافي الفرنسي، المركز الثقافي الإنجليزي، المركز الثقافي الأمريكي-..، و إحداث أحزابا علمانية ووسائل إعلام، ناهيك عن التدخل السافر في برامج التعليم ومناهجه، وضغوطات الصندوق الدولي واستغلاله الفاحش للتدهور الاقتصادي لكثير من الدول الإسلامية.. إلى غيرها من الوسائل التي تفاوتت قوة شراستها في العمل على جعل الإسلام الصحيح غريبا بين أهله. ومن ثم فلا يتم نجاح كامل لأي عملية إصلاح تجود بها الأمة الإسلامية لتصحيح ما أفسده المستعمر الغادر، حتى يتم إصلاح المفاهيم أولا، وذلك بتحرير دلالة الألفاظ وضبط معانيها الاصطلاحية وفق الوضع العربي القرآني. فالنفس البشرية إذا ما أشربت فعل الشرّ واستلذّته، فلا يمكنها هجره إلا بتغيير نظامها الفكري؛ "إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ" الرعد، وحين تصحح المفاهيم، تتميز المذاهب، وتصنف أخلاط الأفكار، وتمحص الصفوف؛ وعندئذ يظهر الحق صافيا، ويبدو الإسلام جليا للعيان من غير التباس أو غموض، فتتحقق له وقتها -إن شاء الله- جولة جديدة. وبعد ذلك يفرح المؤمنون بتمكين الله.

1- اللغة وبناء الذات، كتاب الأمة العدد101.

2- في هذا القول عظة وعبرة لعقلاء الأمازيغ حتى يدركوا أن قضيتهم مفتعلة وما هم إلا أداة لخدمة المشروع الاستعماري.

3- مجلة البيان العدد 178.

4- الهوية أو الهاوية: ص:67.

5- وسوف تكون لنا -إن شاء الله- وقفة مع هذه المصطلحات أو بعضها في مقالات قادمة.

6- محمد السطوحي، "فوكوياما" يتحدث إلى وجهات نظر، مجلة وجهات نظر، مارس، 2002، ص 10 وما بعدها.

7- الولاء والبراء في الإسلام.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

الرومانســية

مذهب يزعم الاهتمام بالطبيعة وضرورة الرجوع إليها، وفصل الأخلاق عن الأدب، والاهتمام بالآداب الشعبية.

التعريف

الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً، مع فصل الأدب عن الأخلاق. ولذا يتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيتها، والاستجابة لأهوائها.

وهو مذهب متحرر من قيود العقل والواقعية اللذين نجدهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زخرت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية.

ويحتوي هذا المذهب على جميع تيارات الفكر التي سادت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر.

والرومانسية أصل كلمتها من: "رومانس: Romance" باللغة الإنجليزية ومعناها قصة أو رواية تتضمن مغامرات عاطفية وخيالية ولا تخضع للرغبة العقلية المتجردة ولا تعتمد الأسلوب الكلاسيكي المتأنق وتعظم الخيال المجنح وتسعى للانطلاق والهروب من الواقع المرير، ولهذا يقول "بول فاليري": "لا بد أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية".

التأسيس وأبرز الشخصيات

بدأت الرومانسية في فرنسا عندما قدّم الباحث الفرنسي عام 1776م ترجمة لمسرحيات "شكسبير" إلى الفرنسية، واستخدم الرومانسية كمصطلح في النقد الأدبي.

ويعد الناقد الألماني "فريدريك شليجل" أول من وضع الرومانسية كنقيض للكلاسيكية.

ثم تبلورت الرومانسية كمذهب أدبي، وبدأ الناس يدركون معناها الحقيقي التجديدي وثورتها ضد الكلاسيكية.

وترجع الرومانسية الإنجليزية إلى عام 1711م ولكن على شكل فلسفة فكرية.. ونضجت الرومانسية الإنجليزية على يد "توماس جراي" و"ويليام بليك".

ولا شك أن الثورة الفرنسية 1789م هي أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثاً ونتيجة في آن واحد للفكر الرومانسي المتحرر والمتمرد على أوضاع كثيرة، أهمها الكنيسة وسطوتها والواقع الفرنسي وما فيه.

وفي إيطاليا ارتبط الأدب بالسياسة عام 1815م وأصبح اصطلاح رومانسي في الأدب يعني ليبراليا (أي: حراً أو حرية) في السياسة.

ومن أبرز المفكرين والأدباء الذين اعتنقوا الرومانسية:

المفكر والأديب الفرنسي "جون جاك روسو" 1712-1788م ويعد رائد الرومانسية الحديثة.

الكاتب الفرنسي "شاتو بريان" 1768-1848م ويعد من رواد المذهب الذين ثاروا على الأدب اليوناني القائم على تعدد الآلهة.

مجموعة من الشعراء الإنجليز، امتازوا بالعاطفة الجياشة والذاتية والغموض رغم أنهم تغنوا بجمال الطبيعة وهم: "توماس جراي" 1716-1771م "ووليم بليك" 1757-1927م "وشيلي" 1762-1822م و"كيتش" 1795-1821م و"بايرون" 1788-1824م.

الشاعر الألماني "جوته" 1749-1832م مؤلف رواية "آلام فولتر" عام 1782م و"فاوست" التي تظهر الصراع بين الإنسان والشيطان.

الشاعر الألماني "شيلر" 1759-1805م ويعد أيضاً من رواد المذهب.

الشاعر الفرنسي "بودلير" 1821-1867م الذي اتخذ المذهب الرومانسي في عصره شكل الإلحاد بالدين.

الأفكار والمعتقدات

لقد كانت الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية، وهذا ما نراه واضحاً من خلال أفكارها ومبادئها وأساليبها التي قد لا تكون واحدة عند جميع الرومانسيين، ويمكن إجمال هذه الأفكار والمبادىء فيما يلي:

الذاتية أو الفردية: وتعد من أهم مبادىء الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحياناً الثورة على المجتمع، فضلاً عن التحرر من قيود العقل والواقعية والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرومانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

تنزع بشدة إلى الثورة وتتعلق بالمطلق واللامحدود.

الحرية الفردية أمر مقدس لدى الرومانسية، لذلك نجد من الرومانسيين من هو شديد التدين مثل: "شاتوبريان" ونجد منهم شديد الإلحاد مثل "شيلي"، ولكن معظمهم يتعالى على الدين والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً.

الاهتمام بالطبيعة، والدعوة بالرجوع إليها حيث فيها الصفاء والفطرة السليمة، وإليها دعا "روسو".

فصل الأدب عن الأخلاق، فليس من الضروري أن يكون الأديب الفذ فذ الخلق. ولا أن يكون الأدب الرائع خاضعاً للقوانين الخلقية.

الإبداع والابتكار القائمان على إظهار أسرار الحياة من صميم عمل الأديب، وذلك خلافاً لما ذهب إليه "أرسطو" من أن عمل الأديب محاكاة الحياة وتصويرها.

الاهتمام بالمسرح لأنه هو الذي يطلق الأخيلة المثيرة التي تؤدي إلى جيشان العاطفة وهيجانها.

الاهتمام بالآداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه، وخاصة في الأعمال القصصية والمسرحية.

الجذور الفكرية العقائدية

تعد الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية المتشددة في قواعدها العقلية والأدبية، وكذلك ثورة ضد العقائد اليونانية المبنية على تعدد الآلهة. ومن جذور هذه الثورة ظهور التيارات الفلسفية التي تدعو إلى التحرر من القيود العقلية والدينية والاجتماعية.

فضلاً عن اضطراب الأحوال السياسية في أوروبا بعد الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية والمساواة وما يتبع ذلك من صراع على المستعمرات، وحروب داخلية.. كل هذه الأمور تركت الإنسان الأوروبي قلقاً حزيناً متشائماً، فانتشر فيه مرض العصر، وهو الإحساس بالكآبة والإحباط ومحاولة الهروب من الواقع، وكان من نتيجة ذلك ظهور اتجاهات متعددة في الرومانسية، إذ توغلت في العقيدة والأخلاق والفلسفة والتاريخ والفنون الجميلة.

ودخلت الرومانسية في الفلسفة وتجلت في نظرية الإنسان الأعلى (السوبرمان) عند "نيتشه" 1844-1900م ونظرية الوثبة الحيوية عند "برغسون" 1859-1941م.

إن أي تيار أدبي لا بد أن يكون ملتزماً بالدين والأخلاق كجزء من العقيدة، وإذا كانت ملازمة الحزن والتعبير عنه لها سلبيات كثيرة، فإن الإسلام يتطلب من معتنقيه مواجهة الظروف التي يتعرضون لها بشجاعة والتسليم بقضاء الله، وتلمس الأسباب للخروج من الأزمات دون يأس أو إحباط، وكل إنسان مسؤول عن تصرفاته ومحاسب عليها بين يدي الله

الرومانسية الجديدة

انحسرت الرومانسية في مطلع القرن العشرين عندما أعلن النقاد الفرنسيون هجومهم عليها -وذلك لأنها تسلب الإنسان عقله ومنطقه- وهاجموا "روسو" الذي نادى بالعودة إلى الطبيعة، وقالوا: لا خير في عاطفة وخيال لا يحكمهما العقل المفكر والذكاء الإنساني والحكمة الواعية والإرادة المدركة.

وكان من نتيجة ذلك نشوء الرومانسية الجديدة ودعوتها إلى الربط بين العاطفة التلقائية والإرادة الواعية في وحدة فكرية وعاطفية، ومن ثم نشأت الرومانسية الجديدة حاملة معها أكثر المعتقدات القديمة للرومانسية.

الانتشار ومواقع النفوذ

تعد فرنسا موطن المذهب الرومانسي، ومنها انتقل إلى ألمانيا ومنها إلى إنجلترا وإيطاليا.

مما سبق يتضح

أن الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب أدبي يقول أنصاره أنه يهدف إلى سبر أغوار النفس البشرية واستظهار ما تزخر به من عواطف ومشاعر وأحاسيس وأخيلة، للتعبير من خلال الذاتية عن عواطف الحزن والأسى والكآبة والألم والأمل، ومن خلال العفوية الخالية من تأنق الأسلوب وجزالة اللفظ ودقة التراكيب اللغوية، مع الاهتمام بالطبيعة وضرورة الرجوع إليها، وفصل الأخلاق عن الأدب، والاهتمام بالآداب الشعبية.

وقد اعتنق كثير من الحداثيين الرومانسية بل عدها بعضهم أحد اتجاهات الحداثة.

تعقيب

من الناحية الشرعية فإن أي تيار أدبي لا بد أن يكون ملتزماً بالدين والأخلاق كجزء من العقيدة، وإذا كانت ملازمة الحزن والتعبير عنه لها سلبيات كثيرة، فإن الإسلام يتطلب من معتنقيه مواجهة الظروف التي يتعرضون لها بشجاعة والتسليم بقضاء الله، وتلمس الأسباب للخروج من الأزمات دون يأس أو إحباط، وكل إنسان مسؤول عن تصرفاته ومحاسب عليها بين يدي الله، طالما كان يملك أهلية التصرف، أما المكره فهو معذور وتسقط عنه الأوزار فيما يرتكبه قسراً، ولكنه لا يعذر في التعبير الحرّ عما ينافي العقيدة ويتعارض معها.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 سبتمبر 2007

حكم ومواعظ

أربعة حسن ولكن أربعة أحسن

قال حكيم: أربعة حسن ولكن أربعة أحسن.

الحياء من الرجال حسن ولكنه من النساء أحسن.

والعدل من كل إنسان حسن ولكنه من القضاة والأمراء أحسن.

والتوبة من الشيخ حسن ولكنها من الشباب أحسن.

والجود من الأغنياء حسن ولكنه من الفقراء أحسن.

من حكم الإمام الشافعي

الخير في خمسة

الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله.

رضا الناس

رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه.

امساك العصا

قيل لأحدهم: ما لك تكثر من امساك العصا، ولست بضعيف؟

قال: لأتذكر أنّي مسافر.

طلب الرياسة

من طلب الرياسة فرَّت منه، وإذا تصدّر الحدث فاته علم كثير.

ضعف الإنسان

أبين ما في الإنسان ضعفه، فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى.

اللبيب

اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

التزلف

ما رفعت من أحد فوق منزلته، إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه.

الشبع

الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف عن العبادة.

الزهد

قال الربيع: قال الشافعي رحمه الله:

عليك بالزهد، فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد.

عواقب الأمور

صحة النظر في الأمور، نجاة من الغرور.

والعزم في الرأي، سلامة من التفريط والندم.

والروية والفكر، يكشفان عن الحزم والفطنة.

ومشاورة الحكماء، ثبات في النفس، وقوة في البصيرة.

ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تتقدم.

ثلاثة لا تقربها

قال الربيع: قال الشافعي رحمه الله:

يا ربيع، اقبل مني ثلاثة:

- لا تخوضنّ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن خصمك النبي غدا.
- ولا تشتغل بالكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل.
- ولا تشتغل بالنجوم.

ابن حزم رحمه الله

من امتحن بالعُجب فليفكِّر في عيوبه. فإن أعجِب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه عيوبه جملة، حتى يظن أنه لا عيب فيه: فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتم الناس نقصاً، وأعظمهم عيوبا، وأضعفهم تمييزاً.

وأول ذلك أنه ضعيف العقل جاهل، ولا عيب أشد من هذين! لأن العاقل هو من ميَّز عيوب نفسه، فغالبها، وسعى في قمعها. والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، إما لقلة علمه وتمييزه وضعف فكرته، وإما لأنه يقدر أن عيوبه خصال، وهذا أشد عيب في الأرض.

شكر وشكر

شكر العينين: إذا رأيت بهما خيراً ذكرته، وإذا رأيت بها شرّاً سترته.

شكر الأذنين: إذا سمعت بهما خيراً حفظته، وإذا سمعت بهما شراً نسيته.

فضل أصحاب الحديث

إذا رأيتُ رجلا من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، جزاهم الله خيرا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

وقال: عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صوابا.

كتابة العلم

لولا المحابر، لخطبت الزنادقة على المنابر.

أضف إلى معلوماتــك

هل تعلم أن الأفعى لا تسمع إلا أنها تعوض ذلك بحساسيتها المفرطة للاهتزازات التي تحسها عبر الأرض. حتى ولو كانت هذه الاهتزازات ضئيلة للغاية. ومع أن الأفعى لا تسمع فإن ذلك لا يعتبر نقصاً فيها، فحواسها الباقية تعوض عن السمع وأكثر. فيشكل النظر حاسة قوية للغاية، فعيني الأفعى تكونا دائماً مفتوحتين فهي تلاحظ فريستها بسرعة، كما أن حاسة الشمّ عندها قوية، فهي تشم رائحة فريستها عن بعد، كما تتميز الأفعى بقدرات حسية أخرى كقدرتها على تحسس الحيوانات الأخرى التي تختلف حرارتها أو برودتها قليلاً عن محيطها وهذا ما يمكنها من تحديد موقع الفريسة ومهاجمتها في الظلام دون أن تراها.

هل تعلم أن الدلفين حوت صغير يتراوح طوله بين متر وخمسة أمتار. وهناك أسباب دعت العلماء للاعتقاد أن الدلفين يتمتع بذكاء مميز منها أن:

- العديد من الدلافين استطاع تقليد صوت الإنسان ببراعة مذهلة.
- أثبتت التجارب أنه يمكن تعليم الدلفين بعض الكلمات التي ينطقها الإنسان.
- يستطيع الدلفين اختراع بعض الألعاب وممارستها كاللعب بالكرة في بركة المياه وكأنه يلعب كرة السلة أو ما شابه، ويستطيع قذف الكرة إلى مدربه والتقاطها منه. وهذا كله يدل على الذكاء لدى هذا الحيوان.

هل تعلم أن عدداً كبيراً من العظايات التي تعيش في الصحاري الإفريقية والأميركية الشمالية تنجو من خطر الجفاف بعد فضل الله تعالى بفضل حراشفها الواقية وافتقارها إلى غدد تفرز العرق.

تسلية وترويح

الابن الأحمق !

كان لبعض الأدباء ابن أحمق، ومع ذلك كثير الكلام فقال له أبوه ذات يوم: يا بنيّ لو اختصرت كلامك، إذا كنتَ لا تأتي بالصواب.

قال: نعم.

فأتاه يوماً فقال: من أين أقبلت يا بني؟

قال: من سوق.

قال: لا تختصرها هنا، زِد الألف والام.

قال: في سوقال!

قال: قدّم الألف واللام.

قال: ألف لام سوق!!

قال: ما عليك لو قلت: من السوق، فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلاً!

وقال هذا الولد يوماً لأبيه: يا أبتِ، اقطع لي جبّاعة.

قال: وما جبّاعة في الثياب.

قال: ألستَ قلت لي اختصر كلامك، يعني جُبّة ودُرّاعة.

اللص والشاعر

دخل سارق بعد منتصف الليل بيت شاعر ليسرق ما يجد فيه من النقود، وكان الشاعر فقيراً لا يملك فتيلاً، فاستيقظ من نومه، فرأى اللصّ يبحث في أدراج المكتبة فلا يجد غير الورق، فعند ذلك لم يتمالك الشاعر من الضحك، فالتفت إليه السارق وسأله متعجباً: لماذا تضحك؟ فأجابه الشاعر: أضحك على غفلتك وقلة عقلك، لأنك تبحث في منتصف الليل ما لم أستطع وجوده في رابعة النهار.

نعوذ بالله!

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامة بجحا، رجلا فاضلاً فيه دعابة وفيه عقل، وكان يخلط بين المزاح والجدّ، ويصارح محدثه برأيه فيه في فكاهة مستملحة، وذات يوم التقى بالطاغية "تيمورلنك"، فقال له: يا نصر الدين، إني شديد الإعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التي تختتم باسم "الله"، كالواثق بالله، والمظفَّر بالله، والمستنصر بالله.. وأريد أن تختار لي إسماً من هذا النوع. فالتفت إليه جحا وفي شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: "أختار لك.. نعوذ بالله" فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام!..

قاعدة الجمع

كان أستاذ الحساب يلقي درساً في قاعدة الجمع فقال: إن الإنسان لا يمكن أن يجمع إلاّ الأشياء من نوع واحد، فلا يجمع مثلاً الخروف والبقرة ويقول عنهما خروفان، أو بقرتان. فقاطعه تليمذ كان والده بائع حليب فقال: وكيف يجمع والدي بين رطل من الماء ورطل من الحليب، ويقول أنهما رطلان من الحليب؟!

الموتى لا يرجعون

الطبيب: منذ اختراعي لهذا الدواء لم يرجع أحد شاكيًا منه.

المريض: طبعًا، فالموتى لا يرجعون.

العدد 26 - 18 شعبان 1428 الموافق لـ 01 شتنبر 2007

منزلة اليقين "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه السكون إلى غير الله عز وجل"

اليقين ضد الريب والشك، فهو يتضمن سكون الفهم مع ثبات الحكم (انظر مجموع الفتاوى والمفردات للراغب مادة: يقن)، ولهذا قال من قال من السلف: "اليقين هو استقرار العلم الذي لا يحولُ ولا ينقلب ولا يتغير في القلب" (بصائر ذوي التمييز 3975)، فهو شيء ثابت راسخ فيه.

منزلة اليقين

جاء عن بعض السلف: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله" (مجموع الفتاوى، ورسالة اليقين لابن أبي الدنيا). وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: "الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّه" رواه البخاري تعليقا مجزوما به.

ولهذا قال أبو بكر الوراق رحمه الله: "اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرِف الله، وبالعقل عُقل عن الله".

اختبار اليقين

هناك مواقف يختبر العبد فيها حاله في هذا الباب، ومن هذه المواقف:

- **الموقف الأول**: موقف التوبة: فالعبد الذي قد كمل اليقين في قلبه؛ لا يتردد إذا وقع منه تقصير أو ذنب أو زلة، فإنه يبادر إلى التوبة من غير تردد، وأما من ضعف يقينه، فيحتاج إلى تحريك القلب بالمواعظ والعبر، والأمور المُرقِّقة لقسوة قلبه.
- **الموقف الثاني**: هو موقف المصيبة: فمن كان متحققاً باليقين؛ فإنه عند المصيبة يكون رابط الجأش، ثابتاً، صابراً، حابساً للسانه عن التسخط، ولجوارحه عن فعل ما لا يليق.
- **الموقف الثالث**: في حال الحاجة: فإذا احتاج العبد وافتقر إلى المخلوقين، إلى مَالِهم في فقره في دنياه، أو احتاج إليهم في شيء من الأشياء في دنياهم، فإنه بذلك يختبر يقينه، فإذا كان قلبه يتلفت إلى المخلوقين ويتطلع إليهم، ويتعلق بهم لينال ما عندهم؛ فإن قلبه لم يتحقق باليقين بَعْدُ.
- **الموقف الرابع**: في حال الغنى: فمن الناس من لا يصبر إذا أغناه الله عز وجل، فيصل به ذلك إلى الكفر، لربما قال: إنما أوتيته على علم عندي، وينسى أن الله عز وجل هو الذي أعطاه وأولاه، وأن الله عز وجل هو مالك الملك وأن العطاء بيده.

الطريق إلى اليقين

أصل ذلك: توفيق الله عز وجل، ومع ذلك فثمة أسباب توصله العبد إلى هذه المرتبة ومن هذه الأسباب:

- **الأول**: العلم: بأن يعمل بمقتضى هذا العلم.

قال بعض السلف: "العلم يستعملك -فتعمل بمقتضاه- واليقين يجملك" مفتاح دار السعادة 154/1.

- **الثاني**: دفع الواردات والخواطر والأمور المنافية له.
- **الثالث**: العزم الجازم الذي لا تردد فيه في العمل بمرضاة الله عز وجل.
- **الرابع**: مفارقة الشهوات والحظوظ النفسانية قال ابن القيم رحمه الله في هذا المعنى: أصل التقوى مباينة النهي، وهو مباينة النفس، فعلى مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين.
- **الخامس**: التفكر في الأدلة التي توصل إلى اليقين.

ثمرات اليقين

يثمر اليقين أمورا عظيمة على أحوال العبد ظاهرا وباطنا:

- **أولاً**: أن اليقين إذا وصل إلى قلب الإنسان؛ امتلأ قلبه نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه أضداد ذلك من الشكوك



والريب والشبهات التي تقلقه.

- **الثاني**: الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "لا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا من قلبه وبدنه" وانظر كذلك مدارج السالكين 397/2.

- **الثالث**: أنه يورثه الزهد في الدنيا وقصر الأمل: فلا تتعلق نفسه بها، ولا يتشبث بُحطامها، قال بلال بن سعد رحمه الله: "عباد الرحمن اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار، ولأيام طوال، في دار زوال لدار مقام، ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين، فلا يغتر؛ لأن المصير حتماً سيقع إما إلى الجنة وإما إلى النار".
- **الرابع**: الانتفاع بالآيات والبراهين.
- **الخامس**: الصبر فلا يمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له، ويتنعم به، ويغتذي به وهو اليقين الاستقامة 261/2.
- **السادس**: مما يورثه اليقين -وهو مرتبة فوق الصبر: - الرضا بما قدر الله عز وجل وأعطى وقسم: فاليقين هو أفضل مواهب الله عز وجل على العبد، ولا يمكن أن تثبت قدم الرضا إلا على قاعدة اليقين ودرجته، فمن لا يقين عنده لا يمكن أن يصبر، فضلاً أن يرتقي إلى درجة الرضا بما قدر الله عز وجل عليه من الآلام والمصائب والمحن والبلايا، وما قدر الله عليه من الفقر والمرض، وما أشبه ذلك، يقول الله تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ.." (التغابن)، يقول ابن مسعود: "هو العبد تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويُسلّم"، ولهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا باليقين. مفتاح دار السعادة 154/1.
- **السابع**: من ثمرات اليقين: أن البلاء يصير عند من استكمل اليقين نعمة، والمحنة منحة: قال سفيان بن عيينة: "من لم يَعُدّ البلاء نعمة فليس بفقيه" مفتاح دار السعادة 154/1.
- **الثامن**: مما يثمره اليقين: التوكل على الله عز وجل: ولهذا قرن الله بينه وبين الهدى، فقال: "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا.." (إبراهيم)، وقال: "فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ" (النمل)، والحق هنا هو اليقين كما قال ابن القيم رحمه الله. مدارج السالكين 398/2.
- **التاسع من ثمراته**: هو أنه يحمل صاحبه على الجد في طاعة الله عز وجلّ والتشمير والمسارعة والمسابقة في الخيرات: ولذلك فإن أصحابه يمتطون العزائم، ويهجرون اللذات، وكما قيل: "وما ليل المحب بنائم". فعلموا طول الطريق، وقلة المقام في منزل التزود؛ فسارعوا في الجهاز، وجدّ بهم السير إلى منزل الأحباب، فقطعوا المراحل، وطووا المفاوز. مفتاح دار السعادة 149/1.
- **العاشر**: من الأمور التي يثمرها اليقين في سلوك العبد: أنه يجعل صاحبه ثابتاً على الحق الذي اتبعه وعرفه: ولهذا فإن أهل الحق هم أكثر الناس ثباتاً، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام رحمه الله في جملة الخصائص السلوكية لأهل السنة والجماعة: "وتجد أن أصحاب الرأي من المتكلمين، وأصحاب العقائد الفاسدة، والجدل الباطل؛ هم أكثر الناس تنقلا من قول إلى قول، ومن مذهب إلى مذهب، وتجد الواحد منهم يحكم بكفر القول، أو بكفر قائله، وتجده بعد مدة يقرر هذا القول في بعض كتبه، يقول قولاً، ثم يقول نقيضه تماماً بعد مدة وجيزة أو طويلة، بخلاف حال المؤمن الثابت، الذي رزقه الله عز وجلّ اليقين".

الأمور التي تنافي اليقين

وأعظم ذلك أن يكون القلب متطلعاً إلى غير الله عز وجلّ، متعلقاً به، ملتفتاً إليه، ولهذا قال بعض السلف: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه السكون إلى غير الله عز وجلّ، وحرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله جل جلاله" روضة المحبين ص439.

وهكذا الشكوك، والريب، والأمور التي تجلب ذلك: بسماع الشبه، وسماع كلام المخذلين، والمثبطين الذين يثبطون عزائم المؤمنين، ويوهنونهم، ويحثونهم على القعود عن التزام صراط الله عز وجلّ المستقيم، فهؤلاء الذين قلَّ يقينهم إذا استمع العبد منهم، فربما سببوا له شيئاً من ضعف اليقين، حين ذلك يورثه قلقاً، وانزعاجاً، واضطراباً، وهذا يخالف اليقين؛ لأن اليقين طمأنينة، وثبات واستقرار، كما قال ابن القيم رحمه الله: "الشك مبدأ الريب كما أن العلم مبدأ اليقين" بدائع الفوائد 913/4.